إحياء الربانية
سعيد حوى

خاص بموقع

WWW.DAAWA-INFO.NET

(الشبكة الدعوية)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هـذه هي الرسـالة الرابعة في كتـاب "كي لا نمضي بعيـداً عن احتياجات العصـر" وموضـوع هـذه الرسالة قـديم جديـد، فلقد كنت كتبت كتـاب "جند الله ثقافة وأخلاقـاً" وأردت أن أحـدّد الأخلاق العامة لحملة الـدعوة الإسـلامية من خلال النصـوص، والثقافة العامة لهـؤلاء من خلال اسـتقراء واسع جمعت فيه بين الاحتيـاج الثقـافي المسـتمر والاحتيـاج المعاصر الضـروري، وبعد أكـثر من عشر سـنين على ظهـور هـذا الكتـاب وجـدت أنه لا زالت هـذه المعـاني تحتـاج إلى تأكيد بأسـلوب جديد فكـانت

هذه الرسالة. وخلال أعـوام طويلة من السـير والتجربـة، وجـدتني بحاجة إلى أن أحــدد كثــيراً من الأمــور، خاصة وأنّ تســاؤلات كثــيرة طــرحت، واعتراضـات كثـيرة وجـدت، فـرأيت من المناسب أن أكتب رسـالة وراء الرسـالة الرابعة تتضـمن إجابـات محـددة تسـتوعب ما ذكـرت، ورأيت أن أفضل طريقة لذلك أن أصوغ ما أريد بيانه بصيغة السؤال والجواب، وكان ذلك مضمون الرسالة الخامسـة، وأنا أذكر ذلك هنا كي يعـرف القـارئ أن ما يمكن أن يكـون عنـده من تسـاؤلات يمكن أن يجد جوابه في الرسـالة الخامسة من هذا الكتاب "رسالة الإجابات".

***

وقد سبقت هاتين الرسالتين الرسائل الثلاث:

1- منطلقات إسلامية لحضارة عالمية جديدة.
2- فلنتذكر في عصرنا ثلاثاً: فروض العين
فروض الكفاية.
لمن تدفع صدقتك.
3- أخلاقيات وسلوكيات تتأكد في القرن الخامس عشر الهجري.

وهذه هي الرسالة الرابعة فلنتحدّث عنها:

هذه الرسالة باختصار تريد أن تذكّر ببدهية وترسم الطريق لإقامتها: فالأمة الإسلامية في عذاب ونكد، ولن يرفع عنها هـذا العـذاب إلا بـأن يقوم المسلمون بـواجب الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكـر، فـترك ذلك هو الذي يؤدي إلى تنافر القلوب ونزول العذاب:

{فلـولا كـان من القـرون من قبلكم أولـوا بقية ينهـون عن الفسـاد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم} [هـود: 116]، فالنجـاة محصـورة في النهي عن الإفسـاد في الأرض، والطريق لـذلك أن ينتـدب من كل فرقة من المسـلمين طائفة لطلب الفقه في دين اللـه، وأن يقومـوا بـواجبهم نحو أمتهم:

{فلــولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهــوا في الــدين ولينــذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون} [التوبة: 122]، إن هـذه العملية البدهية تحتاج إلى إحياء وتنظيم وترتيب، أن يوجد في كل حي أو منطقة أو دائرة مسجد مجموعة انتدبت نفسـها لهـذه المهمـة: مهمة التفقه في دين الله والإنذار بهذا الدين. هذه المهمة في الأصل هي مهمة الربـانيين {لــولا ينهــاهم الربــانيون والأحبــار عن قــولهم الإثم وأكلهم الســحت} [المائدة: 63]، فمن هو الرباني؟ وما هو الطريق لوجود هذا الرباني في مثل عصــرنا؟ وكيف يقـــوم الربـــانيون بمهمتهم؟ وما هي الترتيبـــات والشـروط الـتي ينبغي أن تلاحظ في عصـرنا ليقـوم هـؤلاء الربـانيون بواجباتهم هذه ؟. هذا هو مضمون الرسالة...

وفيما بين يـديها نـذكر الحـديث الشـريف الـذي ذكـره صـاحب الـترغيب والترهيب:

عن علقمة بن سـعيد بن عبد الـرحمن بن أبـزى عن أبيه عن جـده قـال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فأثنى على طوائف من المسـلمين خـيراً، ثمّ قـال: "ما بـال أقـوام لا يفقِّهـون جـيرانهم، ولا يعلِّمونهم، ولا يَعظـونهم، ولا يـأمرونهم ولا ينهـونهم، وما بـالٍ أقـوامٍ لا يتعلمـون من جـيرانهم، ولا يتفقهـون، ولا يتعظـون. والله ليُعلِّمن قـومٌ جيرانهم، ويفقهونهم، ويعظونهم، ويأمرونهم، وينهونهم، وليتعلمن قومٌ من جيرانهم، ويتفقهون أو لأعاجلنهم العقوبة، ثم نزل فقـال قـومٌ: من ترونه عنى بهؤلاء؟ قال: الأشعريين

هم قومٌ فقهاء، ولهم جيران جفاةٌ من أهل الميـاه والأعـراب فبلغ ذلك الأشعريين، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله ذكرت قوماً بخير، وذكرتنا بشرٍّ فما بالنا؟ فقـال: ليعلمن قـومٌ جـيرانهم، وليعظنهم، وليأمرنّهم ولينهونّهم، وليتعلمنّ قومٌ من جيرانهم، ويتعظون ويتفقهـون أو لأعـاجلنهم العقوبة في الـدنيا، فقـالوا: يا رسـول الله أنفظن غيرنا فأعـاد قوله عليهم فأعـادوا قـولهم، أنفطن غيرنـا. فقـال ذلك أيضاً، فقالوا أمهلنا سنة فأمهلهمه سنة ليفقهـوهم، ويعلمـوهم، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيـة: {لعن الـذين كفـروا من بني إسـرائيل على لسـان داود وعيسى بن مـريم} [المائـدة: 78]، رواه الطبراني في الكبير عن بكير بن معروف عن علقمة.

وباختصار فإنني أقول:

1- إنه لا بد من حلقة لإحيـاء الربانية في كل حي وقريـة، مهمة هـذه الحلقات:

أولاً: ربط الناس بحلقات العلم ومجالس الذكر وحلقات القرآن لإقامة فروض العين علماً وعملاً.

ثانيــاً: تنظيم الــدعوة إلى الله والأمر بــالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة في دائرة الحلقة.

ثالثاً: تنظيم التكافل والخدمة فيما بين المسلمين وتشـغيل العـاطلين عن العمل.

2- ولابدّ على مستوى آخر:

أولاً: من إنشاء المجـالس المتخصصة بمتابعة كل نشـاط من نشـاطات الحيـاة ومحاولة إصـلاحه بالكلمة الطيبة والطـرق المتاحة والوسـائل الحكيمة.

ثانياً: من إيجاد المتخصصين بفروض العين وفروض الكفاية.

ولعله بذلك نكون قد أدينا الواجب، لكن إقامة هذه الفروض البدهية تحتاج إلى حكمة وبعد نظر وحسن تأنٍّ للأمور على ضوء نظـرة شـاملة لأوضـاع عصـرنا الـذي يتمـيز بأنه يشـهد انفجـاراً في أجهـزة المخـابرات العالمية والمحليـة، والـذي يشـهد نضـجاً في تجربة الحكم عالميـاً ومحليـاً، والـذي يشــهد نوعــاً من الســيطرة المالية ونمو الغــنى في جــانب، ونمو الفقر والمشكلات الاقتصـادية في جـانب آخـر كما يشـهد نمو العمل الإسـلامي وتعدد الفئـات القائمة عليه وهـذا كله يفـرض نوعـاً من الشـروط لإنجـاح القيام بواجب إحياء الربانيـة. فالسـاحة الإسـلامية ليست فارغـة، بل هي ملأى بمن يحاولون القيام بواجبـاتهم بفضل اللـه، وهـذا يقتضي ملاحظة من قبل العاملين لتعميم الواجبـات المـذكورة آنفـاً، ومن ههنا تأخذ كلمة إحياء الربانية أبعاداً متعـددة ولعل هـذه الرسـالة تحـاول أن تضع النقـاط على الحـروف في هـذا كلـه، ويبـدو لي أنّ القـارئ بحاجة إلى أن يتملى هذه الرسالة أكثر من مرة، ولا عليه من ضير في ذلك، فإنها تـذكر بـأكبر فروض هذا العصر، بل تذكّر بالشيء الذي تتوقف عليه نجاة الإنسـان عند ربــه، وتــترتب عليه إقامة كل ما بعــده من واجبــات، وأرجــوا أن يعــرف القارئ أنّ كل كلمة في هذه الرسالة كانت محل تأمل طويل.

الباب الأول تقويم وحلول

لقد كـان نتـاج العمل الإسـلامي في القـرن الرابع عشر الهجـري عظيماً وضخماً، فبارك الله في كل من ساهم وشارك في دفعه، وجزاهم الله كل خير:

لقد تتابع سـقوط العـالم الإسـلامي بيد الاسـتعمار في هـذا القـرن، وتم إخراج الاسـتعمار فيـه. وانتهت الخلافة الإسـلامية الضـعيفة، وحل بـدلها دول كثيرة، وحكومات كثيرة، استبعد أكثرها الإسلام رسـمياً من قـاموس

العمل السياسي، ولكن لم يكد القرن الرابع عشر ينتهي إلا وأصبح هنـاك تسـليم شـبه واقعي عند أكـثر الحكومـات في العـالم الإسـلامي بوجـوب مراعاة الإسلام ولو بالإعلان والاعتراف، وكـان ذلك أثـراً غـير مباشر عن جهود العاملين، وحتى في أكثر الأشياء استعصاء على التطــبيق في زعم سياسي القــرن الرابع عشر وهي قضـية الربا والبنــوك فقد حـدث فيها تطور كبـير، لقد فرضت البنـوك الإسـلامية نفسـها. ولقد تراجع الإسـلام في دوائر المثقفين تراجعاً كبيراً في بدايات وأواسط هـذا القـرن، ولكنه أصبح الآن هو الأقوى في هذه الدوائر، يظهر ذلك في أي تنافس حر في الجامعـات على رئاسة اتحـادات الطلاب. كـان هـذا بعض انجـازات القـرن الرابع عشر الهجري، ولقد كان للدعاة على اختلاف اتجاهاتهم شرف هذه الإنجــازات. لقد ســاهم في هــذا الجهد الإخــوان المســلمون والجماعة الإسلامية وجماعة الـدعوة والتبليغ والاتجـاه السـلفي والاتجـاه الصـوفي والعلماء وجمعيات الخدمات والجمعيـات الإصـلاحية والمؤسسـات العلمية الإسـلامية والأحـزاب الإسـلامية ودعـاة أفـراد انتـدبوا أنفسـهم للعمـل، ونشاطات حكومية، وعلى ضخامة الإنجـاز فهـذا لا يمنع أن نقـوّم الحـدود التي وصل إليها العمل ونقوّم القصـور ونبحث عن لـوازم الحركة للقـرن الخــامس عشر الهجــري. إنه لمن الواضح أن التقــويم الشــامل للعمل الإســلامي في القــرن الرابع عشر الهجــري يوصــلنا إلى جــوانب من التقصير لابد من تلافيها، كما أن استيعاب احتياجات القرن الخامس عشر يطرح علينا سؤالاً: هل العمل الإسلامي بحاجة إلى جهة مساعدة مكملـة، تكمل عمل الجهـات الموجـودة في السـاحة؟ ومن هي هـذه الجهة الـتي ينبغي أن تقوم بهذا الدور؟ وإذا لم تكن موجودة فما الطريق لإيجادها؟

إن تقويم العمل الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري يوصــلنا إلى ما يلي:

أولاً: إن السقف الثقافي والتربوي والروحي والحركي والتنظيمي الــذي أوصل إليه عمل القرن الرابع عشر كان منخفضاً أحيانـاً فبعض العـاملين نجحــوا نجاحــات حركية ودعوية لا بــأس بها ولكن الجــانب الثقــافي أو الـروحي أو الـتربوي بقي وسـطاً أو دون الوسـط، وبعض النـاس ركـزوا على الجـانب الـروحي، ولكن افتقـدوا الجـانب الثقـافي أو الحــركي أو التنظيمي وهكـذا قـل. فكل جهة إسـلامية عملت في القـرن الرابع عشر الهجـري لم تسـتطع في الغـالب أن تصـول الفـرد المسـلم إلى سـقف مرتفع في الجــــوانب الــــتي ذكرناهــــا: الثقافة الإســــلامية المتوارثة والمعاصــــرة، والتربية الأخلاقية المتكاملــــة، والتربية الروحية والقلبية العالية والفكر الحركي والتنظيمي المكـافئين للعصـر، ركّز بعضـهم على الثقافة المتوارثة وأهمل المعاصرة، وركز بعضـهم على الجـانب الـروحي وأهمل غــيره، وركز بعضــهم على جــوانب وأهمل جانبــاً بحيث بقيت الشخصية الإسلامية التي تتبع جهة ما عندها قصور في الغالب – نسـتثني من ذلك أناسـاً كملهم الله عز وجل بجهـود شخصـية أو بـأن أتيحت لهم ظروف خاصة-.

ثانيــاً: لم يكن هنــاك تكامل بين العمل الإســلامي الشــعبي والعمل الإسـلامي الحكـومي ولا بين عمل الحكومـات على الأرض الإسـلامية، ولا بين الأعمـال الإسـلامية الشـعبية فيما بينها ومع بعضـها البعض، ولـذلك أسبابه وأعذاره واعتذاراته وإنما نحن هنا نعرض واقعاً.

ثالثاً: لم يكن العمل الإسلامي الشعبي على مستوى التطلعات، ولا العمل الحكومي على مستوى التكليف.

رابعـاً: مع أن القـرن الماضي شـهد تحـرر البلـدان الإسـلامية فـإن إقامة الإسلام لم تأخذ مداها ولم تكن الرغبة في إقامة الجهـاد وإحيائه متكافئة مع أوضاع العصر واحتياجاته.

خامساً: إنه في كثير من الأحيان ابتعد العمل الإسلامي عن فطريته التي كـان عليها في عصر النبـوة، فالأخلاقيـات فيها نقص والحيـاة الروحية ضعيفة، وكثيراً ما تظهر منافسات على الإداريات ومماحكـات وخصـومات وانقسامات، وكثيراً ما يضيع القرار في غمرة الظواهر المرضية، وكثـيراً ما يكون هناك فارق بين الشعار والواقع، وكثيراً ما يفتقد السمت النبوي عن أصحاب الدعوة، ويظهر السمت المتـأثر بـالفكر الغـريب، ومن أعظم مظـاهر البعد عن الفطرية أنك لا تجد لعلمـاء الشـريعة الإسـلامية تـأثيراً مباشـراً في توجيه العمل الإسـلامي، وأحيانـاً لا تجد لهم محلاً في هـذا العمل، وفي كثير من الأحيان لا يكـون الـذنب ذنب العـاملين، فالعـاملون إذا وجدوا العـالم العامل المحب يحبونه ويسـتفيدون منه ولكن الواقع أنه وجـدت جفـوة بين العلم بالشـريعة وبين قطـاع كبـير من العـاملين في الـدعوة ووجـدت جفـوة بين العلمـاء والعـاملين، حـتى إنك لتجد في صف القائمين على بعض الأعمال الإسلامية نوعاً من الازدراء لعلماء الشـريعة مهما كـان شـأنهم، حـتى إن بعضـهم يصـدر حكمـاً مبـدئياً على علمـاء الشـريعة أنهم لا يصـلحون للعمل العـام أو للعمل المنظم وهـذا يشـكل كارثة في النهاية، أخرج الدارمي قـال: أخبرنا وهب بن جرير وعثمـان بن عمر قالا أخبرنا ابن عون عن محمد عن الأحنف قال: قال عمـر: تفقهـوا قبل أن تسـودوا. أخبرنا يزيد بن هـارون أخبرنا بقية حـدثني صـفوان بن رستم عن عبد الرحمن بن ميسرة عن تميم الداري قـال: تطـاول النـاس في البناء في زمن عمر، فقال عمر: "يا معشر العريب الأرض الأرض، إنه لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمارة ولا إمارة إلا بطاعة فمن سـوده قومه على الفقه كان حياةً له ولهم ومن سوده قومه على غير فقه كـان هلاكاً له ولهم".

سادسـاً: كـان التركـيز على مـذاهب أهل السـنة والجماعة في معرفتها وتمثلها في العقائد والفقه والسـلوك ضـعيفاً وهـذا يعطي فرصـاً للآراء الشاذة أن تظهر. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسـلم يقـول: "نضر الله امـرأً سـمع منا شـيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلّغ أوعى من سامع" رواه أبو داوود والترمـذي وابن حبـان في صـحيحه إلا أنه قـال: رحم الله امـرأً وقـال الترمـذي حـديث حسن صحيح. ومن ههنا وجد في المجتمع الإسـلامي المختصـون الـذين تتـابعوا على العلم الواحد حـتى أغنـوه وأثـروه وحققـوا مسـائله وفرّعـوا على أصوله فهم يكملـون عمل جمّـاع الروايـات والمختصـين بـالقراءات، ومن ههنا وجـــدت لأهل السـنة والجماعة مـذاهبهم في العقيـدة والفقه والسلوك. وكثيراً ما يجد الإنسان نفسه أمام شذوذ بسـبب من جهل ذلك أو عـدم التمسك بـه، وهـذا مقتل من مقاتل العمل الإسـلامي المعاصـر، لأنه يمكن أن تعـود الآراء الشـاذة القديمة للظهـور، كما يمكن أن تظهر شذوذات فكرية جديدة.

سابعاً: كثيراً ما نفتقد في العمل الإسلامي المعاصر أو الحياة الإسـلامية المعاصرة التركيز على الجانب القلبي وهذه قضية خطيرة لأن صـلاح أمر المسلمين هو القلب: "إن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب" أخرجه البخاري ومسلم.

ثامنـاً: كثـيراً ما انطلق العمل الإسـلامي بعيـداً عن فكـرة فـروض العين وفروض الكفاية، وبالتالي تجد العمل الإسـلامي في بلد بعد أربعين عامـاً أو أكثر لم ينتج ما يغطي إقامة فـروض الكفاية بشـكل متكامـل، كما تجد بعض أبنائه تفوتهم بعض فروض العين بعد سنين.

تاسـعاً: هنـاك ضـعف في أصـول التعامل التنظيمي على أصـول الإسـلام سببه عدم وجود ألف باء تنظيمي واضح وصحيح، وبالتالي يتعب العاملون أنفسهم ويتعبون بعضهم بعضاً.

عاشراً: حتى الآن لا نجد وضوحاً في طرائق تحقيق الأهداف التي استقرأتها الحركة الإسلامية الحديثة، وبالتالي فالهدف مطروح ولكن طريق الوصول إليه مجهول أو غير واضح تماماً.
حادي عشر: يفتقد العاملون الرئيسيون للإسلام الذين هم الإخوان المسلمون وأمثالهم كالجماعة الإسلامية في باكستان وجماعة الدعوة والتبليغ والفقهاء والعلماء والصوفية المستقيمون وجمعيات الخدمات أو الجمعيات الإصلاحية يفتقدون نوعاً من المودة القوية أو نوعاً من التنسيق النافع غير الضار وغير المتعارض مع ما يريده كل منهم مما ألزم نفسه به.
ثاني عشر: إنه في كثير من الأحيان خولفت شعارات بدهية، من مثل:
من المحراب إلى السياسة لا من السياسة إلى المحراب.
من الربانية إلى الإدارة.
من العلم إلى العمل.
ففي كثير من الأحيان كانت ظروف العمل وعدم الاستقرار وانفتاح ميادين الاستجابة تجعل بعض العاملين يتخلون عن مثل هذه الشعارات، وإذا بالصف الإسلامي يعاني من القلق والاضطراب، ويتعرض للتمزق والتآكل لأن نقاط البداية فيها خلل، فنجد الصف غير موحد الفكر أو التربية ولا تحكمه نظرية تنظيمية مستقرة ولا تجربة متطورة ومتدرجة.
ثالث عشر: في كثير من الأحيان نجد أنفسنا أمام ظاهرة مخيفة وهي أن العمل الإسلامي أصبح أقرب إلى الشكليات والمظاهر، وأقرب إلى الرسمية الحكومية أو الحزبية، وليس من حرج أن نأخذ الجديد المفيد المنسجم، ولكن أن يكون ذلك على حساب العلاقات الفطرية، فهذا الذي لا يصح، وأن يصبح عملنا حزبياً تتحكم فيه الأهواء والصراعات ولا ينطلق فيه شيء من مشكاة النبوة على بصيرة، فهذا هو المحذور، إن هناك فطرية إسلامية لا يصح البعد عنها، وهناك ألف باء إسلامي لا يصح البعد عنه، وإن هناك أصولاً إسلامية في العمل والتعامل لا يصح الخروج عنها، وهناك أصول أوصلت إليها التجربة الصحيحة ينبغي تثبيتها.
رابع عشر: كثيراً ما حدث أن بعض المسلمين يتذكرون الكليات والأصول، وينسون الجزئيات والفروع، والعكس، والإسلام حاكم، فإذا ما حدثت غفلة عن أصوله وفروعه فإن الخلل متوقع.
هذا بعض ما يوصل إليه تقويم العمل الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري، وهي استقراءات لها استثناءات لكنها أغلبية

***

وأما القرن الخامس عشر فإن احتياجاته كثيرة وأوضاعه معقدة: فالقرن الخامس عشر يشهد انفجاراً هائلاً في نمو أجهزة المخابرات المحلية والعالمية، كما يشهد نضجاً في تجربة الدول الكبرى في التعامل مع بعضها وفي التعامل مع مصالحها. وكذلك فإن هناك نضجاً في تجارب الحكم في الدول كلها، وفي الوقت نفسه فإن هناك تناقضات هائلة بين تيارات متعددة وأحوال سائدة فهناك تناقض بين الغنى والفقر على مستوى عالمي وعلى مستوى محلي، وتناقض بين ليبرالية وديكتاتورية، وبين ديمقراطية حزبية وديكتاتورية الحزب الواحد، وبين أفكار متعددة في الساحة الدولية والساحات المحلية وهذا كله ينشئ – حتى على الأرض الإسلامية – رغبات عنيفة في التغيير الذي لا يمتلك الراغبون فيه وسائل مكافئة للأوضاع المحلية أو العالمية التي يواجهونها، ثم إن هؤلاء الراغبين في التغيير لا يمتلكون نظرة موحدة لا في النظرية الثقافية ولا في النظريات التربوية والحركية والتنظيمية مما يجعل الجهود معرضة للضياع، والمآسي المتوقعة كبيرة. وإذا كانت بعض احتياجات العصر بالنسبة للأمة الإسلامية هي ما مر معنا في الرسائل السابقة:

أولاً: البناء الثقافي والمدني للأمة الإسلامية على ضوء استيعاب الأوضاع العالمية، وهذا يقتضي تركيزاً على بناء الفرد والأمة.
ثانياً: التركيز على إيصال فروض العين إلى كل مسلم، وإيصال كل مسلم إلى فرض كفاية وإلى تغطية كل فروض الكفايات.
ثالثاً: الخروج من العفوية إلى التنظيم المحكم، ومن الانفعال إلى النظرة العقلية المنضبطة بضوابط الشرع.
رابعاً: السير المتدرج الذي يوصل إلى الهدف بأقل الخسائر وأكثر الأرباح دنيا وأخرى.
إذا كانت هذه بعض احتياجات عصرنا لتلافي قصور العمل في القرن الرابع عشر وتأمين احتياجات القرن الخامس عشر فمن الذي يتولى هذه المهمة الصعبة؟. يطرح بعض الناس فكرة وجود العمل الإسلامي الكامل المتكامل البديل عن العمل الإسلامي الحالي، وهذا تفكير مغرق في الوهم والخيال والتعلق في السراب، لأنه في النهاية تحطيم للموجود، ودخول في صراعات ومتاهات، ثم إن واقع الحال أنه لا يستطيع أحد إلغاء الموجود، وليس هناك من أحد قادراً على أن يوجد عملاً أكمل من مجموع الموجود ولن يستطيع العمل الجديد أن يغطي دوائر العمل المطلوبة ولذلك فإن مثل هذا التفكير يؤدي إلى مزيد من التمزق ولا يصول إلى هدف. ويطرح بعضهم فكرة أن يلتحق جميع المسلمين بواحد من أنواع العمل القائم بحيث يلغي غيره، وهذا ضار وغير ممكن فلن يتحقق كل ما يحتاج الإسلام في أوضاعنا الحالية عبر كيان واحد، ومن يفكر في مثل هذا إنما يفكر في المحال. إن العمل الإسلامي موزع بين عمل شعبي وحكومي، وبين عمل سياسي وعمل دعوي، والعمل السياسي قد يضطر للمواجهة فهل يتوقف العمل الدعوي في هذه الحال.
وهل تستطيع جهة واحدة أن تغطي كل الاحتياجات من مثل إعمار المساجد إلى الحكم بما أنزل الله؟ إن ما نحتاجه في الحقيقة هو العمل المكمل الذي يدعم الموجود ويقويه ويحسنه ويرشده، والذي يوجد المفقود المفروض، وفيما نحن فيه وهو إزالة النواقص المذكورة وهي فريضة من الفرائض، لابد فيما يبدو من عمل مكمل يدعم الموجود، ويوجد المفقود من خلال علم وبيئة يوجد بهما الربانيون، وتعود بهما الفطرية إلى العمل الإسلامي وترسخ بهما جذور مذاهب أهل السنة والجماعة ويركز فيهما على التربية القلبية والعملية، ويساعد هذا العمل على وجود المختصين بفروض الكفاية وعلى وضوح النظريات التنظيمية والاستراتيجيات العامة، ويوضح لكل مسلم طرائق العمل لتحقيق الأهداف، ويحاول أن يكون قاسماً مشتركاً تتفاعل به أنواع العمل الإسلامي الحالية دون أن يدخل في تناقض معها، فهل بالإمكان ذلك؟ أي أن يوجد مثل هذا مما يرتاح إليه جميع العاملين ويكون قوة لهم جميعاً بل يشارك فيه العاملون دون أن يعتبروا ذلك متناقضاً مع مشاركاتهم في عمل آخر أو كينونتهم في كيان آخر؟. إنني أفترض أن ذلك ممكن إذا توافرت شروط وقبل أن أذكر هذه الشروط أقول:
إنّ هذا النوع من العمل يكاد يكون من فروض الكفايات، وهو في حق بعض الأشخاص فرض عين، وإذا كان مثل هذا العمل لابد من وجوده كفريضة فلابد من بذل الجهد من أجله كائناً ما كانت الصعوبات، وقد يقول قائل: ألا يمكن أن يتم هذا عبر الكيانات الموجودة؟ نقول: إن بعض ذلك ممكن مع صعوبته أحياناً، أما مجموع ما ذكرناه فإنه يحتاج إلى بيئة خاصة ونفس طويل وصبر كثير وعمل دؤوب ويستهدف المستقبل البعيد وليس لجهة منصفة أو عادلة أن تتحسس منه وليس لقوة داخلية أو خارجية حجة ظاهرة عليه، وكل ذلك يقتضي أن توجد جهة تتمحّض لمثل

هـذا العمـل. فـإذا اتضح ذلك فـإنني أرى أن شـروط النجـاح لإقامة هـذا العمل هي:
أولاً: أن يكـون هـذا العمل موجهـاً لكل مسـلم، وأن يكـون محصـوراً في العلم والذكر والخدمة والتضحية والقيام بفـروض العين وفـروض الكفاية بالقدر المتاح والممكن.
ثانياً: ألا يقطع هذا العمل أحـداً عن شـيخه أو جماعته أو عمله الإسـلامي إلا في حالة الشـــذوذ أو الإثم، وحيث لا إثم ولا شـــذوذ فالأصل البقـــاء والطاعة للجهة التي يرتبط بها الإنسان.
ثالثـاً: أن يكـون الهيكل العـام لهـذا العمل وترتيباته قائمة على فطـرة ونصوص.
رابعاً: أن يكون هناك سير علمي للفـرد على ضـوء نظرية ثقافية متكاملة وأن يكون هناك سير متكامل على ضوء إحصاء شامل لفروض الكفاية.
خامساً: أن يعرف الجميع أن هذا العمل هدفه تعميق الإسلام والقيـام بما يفرضه خالصاً من الحظوظ النفسية والدنيوية.
سادسـاً: يلـتزم هـذا العمل بـأن يكـون لأتباعه في كل قطر اسـتقلالية قانونية لا تحرجه أمام قانون بلده.
سابعاً: يعطي هذا العمل لكل فرد من أتباعه حق الممارسة الحياتية حيث شاء مما تجـيزه له الشـريعة ولا يتحمل مسـؤولية أي موقف سياسي لأي فرد مشارك فيه.
ثامنـاً: يحـاول هـذا العمل أن يقـرب بين النـاس والإسـلام على مسـتوى الشعب والحكم، ويحاول أن يقرب الفجـوة بين الشـعب والحكم من خلال إقامة الإسلام باعتماد مبدأ النصيحة المخلصة السرية للجميع.
إنه فيما يبدو لي لابد من عمل مكمل مساعد متوافرة فيه هـذه الشـروط يحتفظ بـالموجود ويصـلحه ويطـوره ويبحث عن اللازم المفقـود ويوجـده ويحاول أن يكون أداة تقريب بين الإسلاميين جميعاً، كما يحاول أن يـدفع نحو الأمام كل جهد إسلامي يستهدف هـدفاً صـحيحاً. لقد وصـلت الحركة الإســلامية في القـــرن الرابع عشر الهجـــري إلى مواقع متقدمـــة: في الثقافة والتربية والــــــدعوة والحركة والتنظيم والفكر والاجتهـــــــادات والتوجهـــات، ولابد من جهة تعمم هـــذا كله على كل مســـلم من الناحية النظرية بحيث لا يحـــدث تراجع عن أي موقع متقـــدم، فالقـــائمون في الساحة يتقدمون، والبعيدون عن الساحة يدخلون فمن الذي يقـوم بهـذه المهام كلها؟.
بكلمة واحدة: إن المرشحين لهذه المهام هم الربانيون.

لماذا الربانيون حصراً؟

هذه المهمة المعقدة التي أشرت إليها في ما مرّ آنفـاً لا يصـلح لها إلا الربانيون حصراً وذلك:

أولاً: لأنها تحتاج إلى حكمة، والربانيون هم العلماء الحكماء، فقد قيل في وصفهم أنهم الذين يتدرجون في تعليم العلم وما ذلك إلا من حكمتهم. {ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً} [البقرة: 269].
ثانياً: لأن هذه المهمة لها طابع الشهادة العادلة على الناس وعلى الواقع وعلى التقصير، ولها طابع الحكم على الوجود والمفقود وتلك مهمّة الربانيون: قال تعالى {إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء} [المائدة: 44].
لاحظ كلمة "وكانوا عليه شهداء"، قال الألوسي: في تفسير الربانيين هم العلماء الفقهاء وهم فوق الأحبار... ومعنى شهداء رقباء يحمونه من أن يحوم حول حماه التغيير والتبديل بوجه من الوجوه أو شهداء عليه أنه حق... أو مبينين ما يخفى منه، أقول: بل شهداء عليه أنه مقام في حياة الناس، وشهداء بذلك على الناس.
ثالثاً: لأن هذه المهمة تقتضي أعلى درجات الثقافة وأعلى درجات القدرة على التعليم وتلك صفة الربانيين: {ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون} [آل عمران: 79].
رابعاً: لأن هذه المهمة تقتضي إحاطة بالمعروف وبالمنكر، وأمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر، فيدخل في ذلك محاربة الإثم ومحاربة أكل الحرام ونصرة المظلوم وإصلاح ذات البين وإعانة الفقير وإعانة المحتاج وذلك واجب الربانيين قبل غيرهم، قال تعالى: {لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت} [المائدة: 63].
خامساً: لأن الربانيين هم المؤهلون للاستمرار على ما مات عليه الرسل عليهم الصلاة والسلام: فالرباني هو الرِبّي في فهم العلماء، والربيون قد وصفهم الله عز وجل بقوله: {وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين} [آل عمران: 146-148].
ولكن أين هم الربانيون؟ وكيف نتوصل إلى إيجاد ربانيين يملأون الساحة ويقومون بمجموع المهمات المطلوبة منهم؟ وما هي الوسائل اللازمة لذلك؟. لا شك أن إحساس المجتمع الإسلامي حالياً بوجود الربانيين والثقة بهم والتسليم لهم ضعيف لكنهم موجودون على ضعف في الصفات والخصائص ومتفرقون.
إنني أعتقد أن رباني هذا القرن عليهم أن يؤدوا هذه المهام الصعبة التي ذكرناها، ولا يستطيعون ذلك إلا أن تتوافر فيهم جوانب أربعة:
الثقافة الإسلامية المتوارثة والمعاصرة، والأخلاقية الإسلامية الرفيعة، والنضج الروحي الرفيع، والفقه الحركي والتنظيمي المناسب للعصر وأوضاعه. فإذا لم يوجد هؤلاء الربانيون الذين يستوعبون هذا كله. فإن الجهة القادرة على إيجاد التفاعلات التي يحتاجها العصر ستبقى مفقودة والجهة التي يحتاجها السقف الجديد لهذا العصر ستبقى مفقودة ونخشى نتيجة لذلك أن يحدث انحسار أو تآكل أو يأس. وإذا كان وجود هذه الجهة هي الاحتياج الأكبر لهذا العصر فإن هذه الرسالة قد خصصت لهذا الموضوع. إن سر الأسرار في نواقص العمل الإسلامي في القرن الرابع عشر يكمن في الانطلاق إلى الدعوة وطي فكرة الإنضاج في الربانية. وقد يكون لذلك أسبابه وأعذاره، فلم يكن أمام الإسلاميين خيار: إما أن ينقذوا الناس من النار أو يعكفوا على أنفسهم، لكن هذا القرن وقد كثر فيه عدد العاملين لابد أن تعوض فيه الحركة الإسلامية ما فاتها بأن ينتدب أناس أنفسهم لإحياء الربانية، ليقوم الربانيون بدورهم كاملاً، والذي أراه أنه لا بدّ من عمل خاص يتمحض لمثل هذا فتجربتنا أنه إذا لم

يتمحص عمل لمثل هــذا فســتبقى معــالم الربانية ضــائعة في أجــواء التنـافس الإداري أو الانتخـابي وفي أجـواء القيل والقـال والأخذ والـرد وفي أجواء الصراع الحاد بين التوجهات المتناقضة سلفية وصـوفية وبين الراغـبين في المشـاركة في الحكم والعـازفين عن ذلـك، والـداخلين في العمل السياسي والراغبين عنه. كل ذلك جعلني أستشـعر ضـرورة وجـود حركة تتمحض لإحيــاء الربانية فهــذه الحركة هي المؤهلة لإيجــاد شــرط النجــاح في أي جماعة إســلامية، وكما قــال عمر رضي الله عنــه: "فمن سـوده قومه على الفقه كـان حيـاة له ولهم ومن سـوده قومه على غـير فقه كــان هلاكــاً له ولهم" وهي شــرط النجــاح لإيجــاد شــرارة التفاعل الكامل مع الإسلام، وهي شرط النجاح لترشيد العمل الإسلامي من خلال النظرة الفقهية الشاملة البصيرة... وإذا كـانت الربانية هي الحل فما هو الجديد الذي يحتاج إلى تذكير وتركيز:

الجديد هو معرفة من هو الرباني في هذا العصر"

وما هي الثقافة التي يحتاجها؟.

وما هي الأخلاق التي يجب أن يلتزم بها؟.

وما هو السمت الذي يجب أن يكون عليه؟.

وما هي البيئة التي يتخرج منها؟.

فالثقافة التي يحتاجها الرباني أوسع مما هي في واقع الحـال، فالثقافة المتوارثة ليست كافية بل لابد من الإضــافة إليها من مثل فقه الــدعوة وفقه أنظمة الإســلام ومعرفة العصر ومعرفة المواقع المتقدمة للعمل الإسـلامي المعاصـر. والأخلاق الـتي يجب أن يلـتزم بها هي أخلاق حـزب الله بمجموعها المحبة لله والذلة على المؤمـنين... والسـمت الـذي يجب أن يتحلى به هو سمت النبوة ظـاهراً وباطنـاً. والبيئة هي مجـالس الـذكر والعلم والتلقي على يد الربـانيين والـذوبان في بوتقة الإخـاء الإسـلامي الخــاص والعــام وكل ذلك يجب أن يكــون على أصــول عقدية صــحيحة واتجاهات فقهية معتمدة. إنه لا ربانية إلا حيث وجـدت عقائد أهل السـنة والجماعة ومذاهب الأئمة مع حالة قلبية مع الله عز وجل فالرسول صـلى الله عليه وسلم ورثنا علماً وعملاً وحالاً قلبية وصـفة فمن ورث هـذا كله فهو الرباني. إن تكامل العمل الإسلامي الذي يحتاجه هذا القـرن يقتضي وجود الربانيين الذين يقومون بعـدد من العمليـات أو يشـرفون عليها من خلال الموقف الحكيم.

فالأصــل: من الربانية إلى ما ســواها أما إذا كــان الأمر على غــير ذلك فالانتكاسـات والتمزقـات هي الأسـاس، ولنتـذكر مـرة أخـرى كلمة عمر رضي الله عنه كما رواها الدارمي:

"عن تميم الداري قال تطاول الناس في البناء في زمن عمر فقـال عمر يا معشر العـــريب الأرض الأرض إنه لا إســـلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمـارة ولا إمـارة إلا بطاعة فمن سـوده قومه على الفقه كـان حيـاةً له ولهم ومن سوده قومه على غير فقه كان هلاكاً له ولهم".

لقد وجد في القرن الماضي كما ذكرنا عاملون إسلاميون كثير:

فهناك السـلفيون الـذين حـاولوا تأكيد التمسك بـالنص، وهنـاك الفقهـاء الذين وجدوا بضاعتهم غير مرغوب فيها، وهنـاك الوعـاظ والـدعاة الـذين اقتصروا على العمومات، وهناك الصوفية الذين لم يستطيعوا أن يقـدموا بضاعتهم على ضوء النصوص ولا على مستوى العصر، وهناك دعاة العامة الذين لم يتجـاوزوا سـقفاً معينـاً، وهنـاك دعـاة المثقفين الـذين أوصـلوا المثقف إلى سقف معين، وهناك الجماعـات الإسـلامية الـتي عملت على مستوى العالم فأصبح لها تجربة ضاربة في الزمان والمكـان، عند كل من هؤلاء يوجد شيء مفيد، وإن هذا القرن يحتاج إلى أشخاص قد أخذوا هـذا كله، فالمواقع المتقدمة التي وصلت إليها كل جهة من هـؤلاء نحن بحاجة للوقـوف عنـدها والانطلاق منهـا، وهـذا لا يتـأتى إلا إذا وجد الفـرد الـذي

هضم هذا كله، وشكّل هؤلاء تياراً متقـدماً يأخذ بيد الجميع ولا يـدخل في صـراع مع أحـد، ينظر إلى الإيجابيـات، ويحسن معالجة السـلبيات، ويـدفع نحو الأمــام، يحب الجميع ويعطف على الجميــع، يــدعم الموجــود ويوجد المفقود، ولا يضن على مسلم بنصح، ولا على جماعة بإرشـاد، هـؤلاء هم الربانيون المعـنيون، وهـؤلاء هم المطلوبـون للقيـام بهـذه المرحلـة، قد استشرفوا أوضاع أمتهم، واستوعبوا أوضاع عالمهم، ويعرفـون الأسـباب الموصلة إلى الغايات ويستطيعون أن يختصروا الطريق.

وطريق ذلك الذكر والعلم والبيئة:

فلا ربانية بلا عبـادة بل الربانية علم على العبـادة، ومبـنى العبـادة على الــذكر، والــذكر الكثــير هو الطريق للوراثة النبوية {لقد كــان لكم في رســول الله أســوة حســنة لمن كــان يرجو الله واليــوم الآخر وذكر الله كثيراً} [الأحزاب: 21]. ولا ربانية بلا علم {ولكن كونـوا ربـانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسـون} [آل عمـران: 79] ولا ربانية إلا ببيئة تربي على العلم وعلى الذكر، ويتحرك فيها الربـاني نحو الخـارج: بـالأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر والعلم والتعليم والنصـيحة والخدمـة. ومن ههنا نقول: إنه لإيجاد الربانيين فنحن نحتـاج إلى تأسـيس مجـالس ذكـر، يألف فيها الإنسان الذكر، وتتابعه في إقامة الأذكار اليومية والاعتكافات، ولابد من حلقـــــات لطلاب الربانية يأخذ فيها الطـــــالب ثقافة موجهة ومركــزة، تدفعه لاســتكمال ثقافتــه، وتحركه نحو الخــارج في الــدعوة والنصيحة والخدمة، وهذا وذاك يقتضي أن تنظم جهة ما هذه الأمور على ضوء نظرية متكاملة لثقافة الربانيين وسيرهم الأخلاقي والـروحي وعلى ضوء نظرية عملية فطرية وصحيحة تُحققُ هذه المطالب كلها.

لكي يوجد الرباني فلابد من توافر شروط أربعة:

1- الذكر، 2- العلم، 3- الأجواء المساعدة، 4- العمل الدعوي والتعليمي.

- **فالذكر لابد منه للوصول إلى مقامات اليقين: {ألا بذكر الله تطمئن القلوب} [الرعد: 28]، وإلى وراثة الحال النبوي {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً} [الأحزاب: 21].**
- **والعلم شرط الربانية {ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون} [آل عمران: 79]. والملاحظ أنه قد أطلقت كلمة الدراسة، وهذا يشير إلى أن دراسات الربانيين كثيرة.**
- **والأجواء المساعدة لينمو طالب الربانية علماً وعملاً وحالاً، فمجالسة أهل الذكر ومجالسة أهل العلم ومجالسة أهل الفضل هي التي تنمي عند طالب الربانية الرغبة بالوصول، فما لم ينتقل طالب الربانية من أجواء الغفلة والجهل فإنّ نموه يبقى ضعيفاً، ألا ترى إلى قصة ذلك الذي قتل مائة نفس كيف أمره العالم أن يغادر بيئته، وإلى الحديث الذي رواه مسلم "لو تدومون على ما أنتم عليه عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي الطرقات ولكن ساعة وساعة... ساعة وساعة... ساعة وساعة...".**
- **والعمل الدعوي التعليمي شرط، فالرباني يجب أن يخرج من إطار ذاته إلى الإصلاح، وذلك بالتعليم والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترتيب هذه المعاني.**

ولو أنك تأملت الواقع فإنك نادراً ما تجد توافر هذه الشروط على كمالها وتمامها في تجمع معاصر أو في مؤسسة، فدراسة الربانيين التي يحتاجها العصر نَدَرَ ما تجدها في مؤسسة أو في جماعة أو في فئة. والذكر الجماعي والفردي اليومي والسنوي دون المستوى المطلوب، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله على كل أحيانه، وكانت له قبل النبوة خلواته الطويلة، وبعد النبوة عباداته الكثيرة، وقد دأب على الاعتكاف السنوي وكانت حياته ذكراً وتذكيراً. والأجواء المساعدة قليلة بل الأجواء المعاكسة هي الأصل، فندر ما يحضر الإنسان جلسة فيخرج أكثر إيماناً ويقيناً وخشوعاً ويقظة.

والعمل الدعوة التعليمي ندر من يمارسه من الأفراد، لأنه في الغالب لا يمتلك وسائله ولذلك قلنا: إنه لا بد أن يتمحض عمل لصالح إحياء الربانية على ألا يدخل في خلاف وخصومات مع مسلم أو جماعة إسلامية فذلك طريق الفسوق والضلال لا طريق الربانية، بل الربانيون عليهم أن يصلوا أهل الإيمان، وأن يحبوهم وأن يساعدوهم على الخير وأن يؤلفوا بين القلوب. ولذلك فإننا نرى أنه لابد من تأسيس مجالس الذكر التي تتابع ذكر المنتسبين إليها: ذكرهم اليومي وذكرهم الجماعي وذكرهم الأسبوعي والسنوي. ولابد من تأسيس حلقات طلاب الربانية التي تتابع الأخذ العلمي لطالب الربانية داخلها وخارجها على ضوء برنامج محدد، وعلى هذه الحلقات أن توجه المنتسب نحو القيام بالدعوة والتعليم والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومن أجل هذا وذاك لابد أن توجد مؤسسات تتابع هذه الشؤون. وأخطر ما في الأمر هو ثقافة الرباني وسيره الروحي، فهذان يجب أن يُنظما، أما سيره الروحي فينظمه انتظام أوراده اليومية ودخوله الاعتكافات الشهرية أو السنوية

أوالعمرية. وأما سيره الثقافي فينبغي أن يتكامل باستيعابه أربع عشرة وحدة دراسية – في اجتهادي – سواء قدمت هذه الوحدات مؤسسات علمية أو حلقات أو جماعات أو جمعيات أو جامعات أو شيوخ والتكامل في ذلك هو الشرط لوجود الربانية المعاصرة. وعلى هذا فإن أي سالك لطريق الربانية أو متصدر لها لا بد أن يزن ثقافته بهذا الميزان وعلى ضوء ذلك يكمل سيره الثقافي أو يبتدؤه.

الوحدة الأولى: دراسة المنهج متمثلاً بدراسة كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقواعد المعرفة وضوابط الفهم، دراسة يستوعب فيها القديم والجديد بما يكافئ أوضاع العصر.

الوحدة الثانية: الأصول الثلاثة التي يدخل فيها التعرف على أدلة وجود الله وأدلة رسالة الرسول ومعرفة الإسلام أركاناً وأنظمة ومناهج حياة فهذه معركة عصرنا.

الوحدة الثالثة: معالم الربانية: ثقافتها وأخلاقها على مستوى الأفراد والقادة ولوازم الوضوح والتوضيح فيما يجب عليها أن تفعل ولقد كتبت في ذلك: جند الله ثقافة وأخلاقاً، وفصول في الإمرة والأمير، ومن أجل خطوة إلى الأمام، وكي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر.

الوحدة الرابعة: الفقه عامة والفقه المذهبي خاصة والتعرف على المكتبة الفقهية.

الوحدة الخامسة: أصول الفقه والتعرف على المكتبة الأصولية.

الوحدة السادسة: عقائد أهل السنة والجماعة والتعرف على المكتبة العقائدية.

الوحدة السابعة: تزكية النفس والسلوك وقد كتبت في ذلك: تربيتنا الروحية، المستخلص في تزكية النفس، مذكرات في منازل الصديقين.

الوحدة الثامنة: علوم اللغة العربية والتعرف على مكتبة العربية.

الوحدة التاسعة: السيرة ومختصر التاريخ الإسلامي وتحليل أحداثه ولمحة عن حاضر العالم الإسلامي.

الوحدة العاشرة: علوم القرآن ومن ذلك علم التلاوة وعلم مفردات القرآن.

الوحدة الحادية عشرة: علوم الحديث والتعرف على المكتبة الحديثية.

الوحدة الثانية عشرة: فقه الدعوة المعاصرة ويدخل في ذلك رسائل الأستاذ البنا ومذكراته وكتاب دروس في العمل الإسلامي وكتاب في آفاق التعاليم والمدخل وكتاب: هذه تجربتي وهذه شهادتي، وكتاب فقه التخطيط والتنظيم والتنفيذ.

الوحدة الثالثة عشرة: متابعة المكتبة الإسلامية المعاصرة وما تنشره المجلات والدوريات الإسلامية، فهذا الذي يجعلنا نستوعب عصرنا وآخر المستجدات فيه مما يحتاجه المسلم، فالكتاب الإسلاميون المعاصرون هم الذين يقدمون لك تجربتهم ورؤيتهم وهم الذين يفطنون لاحتياجات العمل الإسلامي المعاصر فيكتبون، والمجلات الإسلامية هي التي تلاحق مجريات الأمور وتعطيك فيه تصوراً ووعياً، وما لا يدرك كله لا يترك جله، إنك تحتاج إلى أن تتعرف أو تطلع أو تراجع ما كتبه أمثال المودودي والندوي والشيخ الغزالي وعمر التلمساني ويوسف القرضاوي والدكتور مصطفى السباعي وسيد قطب ومحمد قطب ومصطفى مشهور وفتحي يكن ويوسف العظم ومحمد أبو فارس وأحمد محمد الراشد وأمثال هؤلاء من كتاب الحركة الإسلامية المعاصرة وأن تطلع باستمرار على أمثال مجلات المجتمع والدعوة والرائد من أجل أن تبقى على صلة بعصرك والاجتهادات فيه وإذا لم يكن إلا التصفح وإذا لم يكن إلا معرفة أهم الأفكار فإنه أفضل من العدم.

الوحدة الرابعة عشر: التعرّف على العلوم المعاصرة.

وبالإمكان إقامة الحجة على ضرورة دراسة كل مادة مما ذكرناه من أجل وجود الرباني الكامل، ولقد قال الله عز وجل {ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون} [آل عمران: 79]. فقدأطلق كلمة الدراسة لأن ما يحتاجه الرباني من دراسات يتجدد ولا يتقيد، فكل قرن له جديده، وكل بيئة لها احتياجاتها ومن خلال استقراء شامل وصلت إلى هذه النتيجة التي ذكرتها. ولعل أهل العلم وخريجي المعاهد والكليات الشرعية هم المؤهلون أكثر من غيرهم لينتدبوا أنفسهم لاستكمال ما ذكرناه في العلم والذكر ويأخذوا على عاتقهم نقل المسلمين والمسلمات إلى أجواء الربانية. فلقد شهد عصرنا مؤسسات علمية كثيرة، ولكنه لم يشهد إلا قليلاً تلك المحاولات التي تعمم علوم الثقافة الإسلامية على العامة. ولعله من خلال هذا العرض لشروط وجود الربانية المعاصرة يدرك القارئ ضرورة ما ذهبنا إليه من أنه ينبغي أن يتمحض لهذا العمل ويتفرغ له أهله وبذلك وبتوافر هذه الشروط المذكورة وبوجود المؤسسات التي تخدم في ذلك تقوم بإذن الله الربانية المعاصرة.

وكما نستهدف وجود الرباني ذي الثقافة المتكاملة، فإنه ينبغي أن نستهدف وجود الرباني المختص. فينبغي أن يوجد من بين هؤلاء الربانيين أصحاب الاختصاص في أمهات الدراسات الإسلامية، كأن ينتدب من هؤلاء الربانيين أناسٌ لتغطية الاختصاصات التالية:

1- المختصون في الفقه، ومنهم:
- المختصون في فقه المذاهب المعروفة: حنفي، شافعي، مالكي، حنبلي، فقه أهل الحديث، فقه أهل الظاهر، فقه زيد، فقه جعفر، فقه الخوارج.
- المختصون في كتاب فقهي مشهور: حاشية ابن عابدين، المبسوط، المغني....

2- المختصون في اللغة العربية:
- نحو وصرف، فقه لغة، بلاغة...
- الاختصاص في أئمة اللغة وكتبهم: ابن جني، الفيروزابادي، الخليل....

3- المختصون في التفسير وعلوم القرآن:
- اختصاص في تفسير معين.
- اختصاص في علوم القرآن.
- اختصاص في إمام من أئمة هذا الشأن.

4- في أصول الفقه:
- اختصاص في أصول الفقه المذهبي.
- اختصاص في كتاب من كتب أصول الفقه.
- اختصاص في حياة أصولي.

5- علوم الحديث:
- اختصاص في علوم الحديث.
- اختصاص في كتب السنة.
- اختصاص في الرجال.
- اختصاص في إمام من أئمة الحديث وكتبه.

6- اختصاص في المنطق:
- اختصاص في المنطق الاستقرائي الحديث.
- اختصاص في المنطق الصوري القديم.

7- اختصاص في العقائد:
- الاختصاص في عقائد أهل السنة والجماعة.
- الاختصاص في عقائد الفرق المنشقة.

- الاختصاص في إمام من أئمة أهل السنة والجماعة في العقائد وكتبهم.

8- الاختصاص في التاريخ:

- الاختصاص في التاريخ العام.
- الاختصاص بتاريخ كل قرن.
- اختصاص بكتاب من كتب التاريخ.
- اختصاص بإمام من أئمة التاريخ.
- اختصاص بتاريخ الإسلام في كل قطر.

كما ينبغي أن يوجد من بين الربانيين اختصاصيون بفروض كفائية يحتاجها مستقبل الإسلام والمسلمين.

***

إنه بالعلم يحيا الإسلام ويستمر، وبالعلم يحفظ الإنسان من الفتن وخاصة في زمن مثل زماننا، وبالعلم يكون قبول الإسلام، وبنشر العلم والجهر به تكون الحياة:

قال عمر بن عبد العزيز: "فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً".

وقال "إذا رأيت قوماً ينتجون بأمر (أي يتسارون) دون عامتهم فهم على تأسيس الضلالة" أخرجه الدارمي، وأخرج الدارمي عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً إلا من أحياه الله بالعلم". فإذا ما سألت عن الأخلاق العامة للربانيين ما هي؟ أقول: هي أخلاقية الربيين وأخلاقية حزب الله قال تعالى: {وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين} [آل عمران: 146-148]. فقدفسرت الربية بتفسيرات كثيرة منها ما ذكره ابن كثير عن الحسن: "ربيون كثير أي علماء كثير وعنه أيضاً علماء صبر أي أبرار أتقياء". وأما أخلاقية حزب الله فمحددة في آيات الردة {يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم، إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون} [المائدة: 54-56].

ولعل القارئ يذكر كتابنا جند الله ثقافة وأخلاقاً ومن تأمل ما ذكرناه ههنا عرف أننا قصدنا بذلك الكتاب إحياء الربانية والربية وذلك طريق لابد منه لتجديد الإسلام في عصرنا. وأقترح لإحياء الربانية أن نحيي فكرة الإجازة العلمية على طريقة الشيوخ القدامى فكل من درس علماً أخذ إجازة فيه حتى إذا درس كل العلوم التي ذكرناها وظهرت فيه أخلاقية الربيين والربانيين أعطي إجازة الربانية أو أعطي الإجازة الجامعة فإذا تخصص بفرع من فروع الاختصاص أعطي إجازة الأستاذ في ذلك الاختصاص ولعلّ إنشاء جامعة إسلامية أهلية لإحياء الربانية يخدم في ذلك. إن إحياء الربانية من فروض العصر ولا ربانية إلا إذا وجدت أشياء:

ثقافة إسلامية كاملة ومتكاملة معاصرة.

أخلاق كاملة ومتكاملة يجتمع لصاحبها صفات الربانيين والربيين.

روحانية رفيعة يجتمع لصاحبها معرفة ذوقية قلبية بالله وقيام بواجبات العبودية لله رب العالمين.

***

إن تجربة القرن الرابع عشر الهجري أثبتت أن الـذين تتلمـذوا على أيـدي الربـانيين، وعاشـوا في أجـواء المسـاجد والتلقي، كـانوا هم الأنقى والأرقى والأقـدر على الـدعوة، وأن العلم الـذي لا يرافق العمل والقلب الذي لا يربى على الصحة كل ذلك يمكن أن يشكل كارثة على أهله وعلى الناس، وهذا يقتضي وجود عمل من ميزاته أنه:

علم متكامل هـادف مناسب للعصر وأعمـال على ضـوء العلم. إن إحيـاء الربانية والربية من فروض العصر وإقامة الحلقـات والمؤسسـات اللازمة لـذلك من فـروض العصر فما لا يتم الـواجب إلا به فهو واجب. وأرى أن تبتعد حلقـات الربـانيين عن كل ما لا يخـدم خدمة مباشـرة في العلم والسلوك والأخلاق والدعوة والخدمة ومن أراد من أبناء هذه الحلقـات أن يعمل عملاً مفروضـاً أو مشـروعاً فليفعل بمبادرته الشخصـية متحملاً مسؤولية نفسه دون أن يحمل حلقات الربـانيين مسـئولية تقطع الطريق عليها أن تحقق أهـدافها الثقافية والتربوية والروحيـة. لقد انتشـرت المذاهب الرديئة القائمة على الأهواء والمتشـابه وعلى البهتـان وتجـريح النـاس ظلمـاً وزوراً وكـثرت الجـرأة على المعاصي الظـاهرة والباطنة وخاصة معاصي اللسان وآثام القلوب، وأصبح المسـلمون بحاجة إلى بيئة نظيفة ينمون فيها علمياً وروحياً وأخلاقياً بما يتفق ومذاهب أهل الحـق. فأي خلل يحـول دون النضج العلمي والـروحي يـؤثر على الـدعوة وعلى التربية وعلى التعليم وينتج عنه ضـعف الاقتـداء في سياسـات النبـوة، وينتج عنه ضعف في انتشار الإسلام وضعف التـأثير وهـذا كله يحتـاج إلى تلاف.

قال تعالى: {ومن يطع الله والرسـول فأولئك مع الـذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشـهداء والصـالحين} [النسـاء: 69]. يـفهمن هذه الآية أن مراتب الكمال في هذه الأمة أربعة:

- رتبة النبوة وقد انتهت بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وبقي عنـدنا ثلاث مـراتب كمـال، تبقى مسـتمرة في هـذه الأمـة، هـذه المراتب الثلاث هي الصديقية والشـهادة والصـلاح، وبقـدر ما تكـون هـذه المعاني قوية في الأمة تكون بخير، وبقـدر ما يخف وجـود هـذه المعـاني الثلاثة يكون الإسـلام في هـذه الأمة في ضـعف، ولنلق نظـرة على حـال الأمة بالنسبة لهذه المقامات. إنك تجد أن الصـلاح لازال قائمـاً ومسـتمراً ولكن على ضعف لأن الصلاح يقوم على ركنين: الإيمـان والعمل الصـالح، فالله تعـالى يقـول: {والـذين آمنـوا وعملـوا الصـالحات لنـدخلنهم في الصالحين} [العنكبوت: 09]. فمن اجتمع له إيمان وعمل صالح يـرجى أن يكون مآله الوصول إلى مقام الصلاح، والإيمان والعمل الصالح موجـودان في هذه الأمة بشكل من الأشكال، لكن معـاني الإيمـان تحتـاج إلى تجديد مسـتمر فلقد ورد في الحـديث الحسـن: "إن الإيمـان ليخلق في جـوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله أن يجدد الإيمـان في قلـوبكم". وقد ورد في حديث صحيح: "جددوا إيمانكم، فقالوا كيف نجدد إيماننا يا رسول الله، قال: أكـثروا من قـول لا إله إلا اللـه" فالإيمـان تطـرأ عليه طـوارئ تضـعفه، وقل مثل ذلك في العمل الصـالح، فهو معـرض لأن يطـرأ عليه العجب والغرور والرياء وغـير ذلك مما يـؤثر على العمـل، وهـذه المعـاني قـلّ التنبه لها في عصـرنا، ومع ذلك يوجد بفضل الله عز وجل توجه نحو الإيمان والعمل الصالح.

ومرتبة الشهادة مستمرة في هذه الأمة فهناك شهداء بشكل مستمر قال تعـالى: {ويتخذ منكم شـهداء} [آل عمـران: 140] لكن الأصل أن يكـون العـزم على الشـهادة موجـوداً في قلب كل مسـلم، فلابد من نية الجهـاد في كل قلب، قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: "من لم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق" أخرجه مسـلم وفي هـذا المعنى ضعف وأي ضعف، بينما نجد عند جميع الصحابة قدراً مشـتركاً من الرغبة في أن يلقوا الله عز وجل شهداء والرسول صلى الله عليه وسلم يتمـــنى أن يقتل ثم يرجع ثم يقتل ثم يرجع ثم يقتـــل، وكـــان عمر بن الخطـاب يـدعو أن يستشـهد في المدينة المنـورة، ورزقه الله ذلك وكل صحابي كان يعبر عن ذلك، المهم أن هناك قدراً مشتركاً عند كل فرد في جيل الصحابة في الرغبة في الشهادة، والرسـول صـلى الله عليه وسـلم علّم المسلمين أن يكونوا صادقين في طلبهم الشهادة من الله عز وجل، والإنسـان عنـدما يطلب الشـهادة بصـدق ينيله الله أجرها ولو مـات على فراشه، وفي جيلنا لم تعد الشهادة مطلباً مشـتركاً لكل مسـلم، لا نقـول هـذا من سـوء الظن بالمسـلمين، فالمسـلمون على خـير وبركة ولكن الواقع المحس هو ما ذكرنـاه، وقد حـاول الأسـتاذ حسن البنا رحمه الله أن يحـيي هـذا المعـنى، لـذلك كـان من الشـعارات الخمسة الـتي جعلها شعارات لإخوانه: الجهاد سـبيلنا والمـوت في سـبيل الله أسـمى أمانينـا. ولقد علل الرســول صــلى الله عليه وســلم لتــداعي الأمم علينا بقوله "ولكنكم غثاء كغثاء السيل، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، قـالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية المـوت" أخرجه أحمد وأبو داود. لقد كـان حسن البنا موفقـاً إذ جعل أحد الشـعارات: "المـوت في سبيل الله أسمى أمانينا" فلا خروج للمسلمين من الوهن إلا بذلك. ولكن عنـدما ننظر إلى مقـدار الرغبة (الرغبة في المـوت في سـبيل اللـه) في

قلوب المسلمين جميعاً.. أقصد هذا المليار من المسـلمين... نجد أن بيننا وبين ذلك منادح يقطعها السير الجاد من أهله بإذن الله.

أما مرتبة الكمـال الثالثة وهي أعلى هـذه المـراتب وأكملها وهي رتبة الصـديقية فقد طـرأ عليها الضـعف أكـثر مما طـرأ على المرتبـتين الأوليين لأن المرتبة الثانية التي هي الشـهادة والمرتبة الثالثة الـتي هي الصـلاح مرتبتـان محسوسـتان تقريبـاً لكن مرتبة الصـديقية مرتبة خفيّـة، فهي أقرب إلى الجانب القلبي، ولذلك فقد طـرأت عليها طـوارئ كثـيرة كبـيرة وضـعفت ضـعفاً كثـيراً وقل أصـحابها، والآية القرآنية تشـهد أن المتأخرين تقل فيهم هذه الرتبة. قال تعالى: {والسـابقون السـابقون... ثلة من الأولين وقليل من الآخرين} [الواقعة: 10-13-14] بينملقال في أصحا اليمين {ثلثة من الأولين وثلة من الآخرين} [الواقعة: 39-40] فإذا اعتبرنا أصـــحاب اليمين هم الصـــالحون والســـابقين هم الصـــديقون، فالصـديقون من المتـأخرين قليلـون فكـأن مرتبة الصـديقية تضـعف في الأمة شيئاً فشيئاً. ويترتب على ضعفها ضعف المرتبتين الأخريين ولـذلك نقول:

إنه بقدر ما يبـذل الـدعاة من جهد في إحيـاء الصـلاح وفي إحيـاء معـاني الشـهادة يحتـاجون لأن يبـذلوا جهـداً في إحيـاء معـاني الصـدّيقية، الـتي بـدايتها الإيمـان بالله تعـالى: {والـذين آمنـوا بالله ورسـله أولئك هم الصدّيقون والشـهاداء عند ربهم} [الحديـد: 19]. يعـني الـذين اجتمع لهم إيمان بالله ورسوله هم الذين مـآلهم لأن يكونـوا صـدّيقين وشـهداء، تلك هي البداية وهي بداية مشتركة بين الصدّيق والصالح والشهيد، لكن هناك دقائق في رتبة الصدّيقية لها علاقة بالإيمـان والعمل الصـالح تتـوافر في الصدّيق ولا تتوافر في الصالح، ومن ها هنا تكون لرتبة الصدّيقية المنزلة العليـا، وإذا أردنا أن نأخذ نقطة نتعـرّف بها على الفـارق بين مقـام الصـدّيقية والصـلاح فلنضـرب على ذلك مثلاً بخشـوع القلب في الصـلاة، فالقلوب تتفاوت في الخشوع، لذلك كان الرسـول عليه الصـلاة والسـلام وهو أعـرف خلق الله بالله أكـثر خلق الله خشـوعاً، حـتى إنّ الصـحابة وصفوه بأنّه كان يسمع من جوفه أزيز كأزيز المرجل في الصلاة من شدة خشـوعه، فالخشـوع إذاً يمكن أن نعتـبره مـيزان كمـال، وبقـدر ما يكـون الإنسان أقـرب إلى الخشـوع الكامـل، فهو أقـرب إلى الكمـال، وبالتـالي فهو أقرب إلى مقام الصدّيقية، والذي يرى حال الناس في الخشوع الآن يدرك قلّة المتحققين بمقام الصديقية، وسـنتحدث عن معـالم الصـديقية بتفصيل في كتابنا (مذكرات في منازل الصديقين) وههنا نقول:

إن الصديقية هي الدرجة العليا لمقام الصدق ففي الحديث الصـحيح: "ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حـتى يكتب عند الله صـديقاً"، ولو أنك تأملت النصوص التي تحدثت عن الصادقين، ثم عرفت أن الصـديق يتحقق بذروتها فإنك تعرف بذلك مقام الصديقين: {من المؤمنين رجـال صـدقوا ما عاهـدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بـدلوا تبديلاً} [الأحزاب: 23]. {إنما المؤمنون الذين آمنـوا بالله ورسـوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون} [الحجرات: 15]. {ليس الـبر أن تولـوا وجـوهكم قبل المشـرق والمغـرب ولكن الـبر من آمن بالله واليـوم الآخر والملائكة والكتـاب والنبـيين وآتى المـال على حبه ذوي القـربى واليتـامى والمسـاكين وابن السـبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صـدقوا وأولئك هم المتقون} [البقرة: 177]. {للفقراءالمهاجرين الذين أخرجوا من ديـارهم وأمـوالهم يبتغـون فضـلاً من الله ورضـواناً وينصـرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون}[الحشر: 08].

فمن عـرف أن مقـام الصـديقية هو تحـري الكمـال في الصـدق، وعرف مضمون الصـدق الـذي تحـدثت عنه في هـذه الآيـات عـرف معـنى الصديقية ولقد تحـدث الغـزالي في إحيائه عن درجـات الصـدق وكـان من كلامه:

"اعلم أن لفظ الصدق يستعمل في ستة معان، صدق في القول، وصـدق في النية والإرادة، وصدق في العزم، وصدق في الوفـاء بـالعزم، وصـدق في العمل، وصدق في تحقيق مقامات الدين كلهـا، فمن اتصف بالصـدق في جميع ذلك فهو صـديق، لأنه مبالغة في الصـدق، ثم هم أيضـاً على درجات، فمن كـان له حظ في الصـدق في شـيء من الجملة فهو صـادق بالإضافة إلى ما فيه صدقه.

الصدق الأول: صدق اللسان وذلك لا يكون إلا في الإخبار أو فيما يتضـمن الإخبـار وينبه عليـه، والخـبر إما أن يتعلق بالماضي أو المسـتقبل، وفيه يـدخل الوفـاء بالوعد والخلف فيـه، وحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه فلا يتكلم إلا بالصدق، وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرهـا، فمن حفظ لسانه عن الإخبار عن الأشـياء على خلاف ما هي عليه فهو صـادق، ولكنْ لهذا الصدق كمالان أحدهما الاحـتراز عن المعـاريض، والكمـال الثـاني أن يـراعي معـنى الصـدق في ألفاظه الـتي ينـاجي بها ربه كقوله وجهت وجهي للـذي فطر السـموات والأرض فـإن كـان قلبه منصـرفاً عن الله تعـالى مشـغولاً بأمـاني الـدنيا وشـهواته فهو كـذب، وكقوله إيـاك نعبـد، وقوله أنا عبد الله فإنه إذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكـان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه مصدقاً.

الصـدق الثـاني: في النية والإرادة، ويرجع ذلك إلى الإخلاص وهو أن لا يكون له باعث في الحركات والسـكنات إلا الله تعـالى فـإن مازجه شـيء من حظوظ النفس بطل صدق النية، وصاحبه يجوز أن يسمى كاذباً.

الصدق الثـالث: صـدق العـزم فـإن الإنسـان قد يقـدم العـزم على العمل فيقول في نفسه إن رزقني الله مالاً تصدقت بجميعه أو بشـطره، أو إن لقيت عـدواً في سـبيل الله تعـالى قـاتلت ولم أبـال، وإن قتلت، وإن أعطـاني الله تعـالى ولاية عـدلت فيها ولم أعص الله تعـالى بظلم وميل إلى خلـق، فهـذه العزيمة قد يصـادفها من نفسه وهي عزيمة جازمة صـادقة وقد يكـون في عزمه نـوع ميل وتـردد وضـعف يضـاد الصـدق في العزيمة فكأن الصدق ههنا عبارة عن التمام والقوة.

الصـدق الرابـع: في الوفـاء بـالعزم، فـإن النفس قد تسـخو بـالعزم في الحـال إذ لا مشـقة في الوعـد، والعـزم والمؤنة فيه خفيفـة، فـإذا حقت الحقـائق وحصل التمكن، وهـاجت الشـهوات، انحلت العزيمة وغلبت الشهوات ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا يضاد الصدق فيه.

الصدق الخامس: في الأعمال وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظـاهرة على أمر في باطنه لا يتصف هو به لا بـأن يـترك الأعمـال ولكن بـأن يستجلب الباطن إلى تصديق الظاهر.

الصدق السادس: وهو أعلى الدرجات وأعزها، الصدق في مقامات الدين، كالصـدق في الخـوف والرجـاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب وسائر هذه الأمـور، قـال الله تعـالى: {إنما المؤمنـون الـذين آمنـوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا} إلى قوله {أولئك هم الصادقون} [الحجرات: 15] وقال تعالى: {ولكن الـبر من آمن بالله واليـوم الآخـر} إلى قوله {أولئك الـذين صـدقوا} [البقـرة: 177]. فـالصـادقإذاً في جميع هـذه المقامـات عزيـز، ثم درجـات الصـدق لا نهاية لها وقد يكـون للعبد في بعض الأمـور دون بعض فإن كان صـادقاً في الجميع فهو الصـديق حقـاً." 1. هـ . كلام الغزالي.

ولعلك بهذه التحديدات لمعاني الصدق تعـرف من هم الـذين أمـرك الله عز وجل أن تكـون منهم ومعهم: {يا أيها الـذين آمنـوا اتقـوا الله

وكونـوا مع الصـادقين} [التوبـة: 119]. إن الـدعوة إلى الله ذات شـقين: فهي تـــذكير من ناحيـــة، وتجديد من ناحية آخـــرى، ومن ههنا توجد في الشريعة فكرة المجدّد، وفي كل عصر يبعث الله لهذه الأمة من يجــدّد لها أمر دينها وفي الحديث: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل قرن من يجـدّد لها أمر دينهـا". ورأس القـرن أوّلـه. المهم أنّه يوجد شـيء اسـمه تجديد في حياة الأمة الإسلامية، وحتماً فإنّ من المعاني الـتي تحتـاج إلى تجديد مستمر في الأمة الإسلامية هي هـذه المعـاني: الصـلاح والشـهادة والصـدّيقية، ولا أقصد أن التجديد ينحصر بهـا، ولكنّ مـراتب الكمـال هـذه لابدّ من تجديدها بشـكل مسـتمر، ومن ثم فـإن أي إنسـان يريد أن يقـوم بحق الدعوة إلى الله يجب أن يضع في ذهنه أن يجدّد حيـاة هـذه المعـاني وحيوتها. وإذا فشلنا في إيجاد هذه المعاني بعمق في الأمة الإســلامية لا نكــون قد فعلنا شــيئاً كثــيراً مهما نشــرنا من رسـائل، وألفنا من كتب، وألقينا من محاضـرات، ونمينا مـدارك النـاس وعلـومهم إلا إذا كـان ذلك عامل دفع، وسبيلاً إلى مقام صـلاح أو وسـيلة للصـديقية، فـالعلم شـرط في هذا كلـه، إننا إذا لم ننقل النـاس إلى مثل هـذه المعـاني يبقى عملنا محدوداً وقاصـراً، صـحيح إن إقامة الحجة على النـاس هـدف، ولكن العلم النافع هو الهدف المباشر لهذا الهدف، وقد ورد في حديث حسن: "العلم علمان علم في القلب فذلك العلم النـافع وعلم في اللســان فـذلك حجة الله على ابن آدم" إن الفريضة الإســلامية في الشــريعة لها ســياج هي الســنة والأدب، فمثلاً فرضت علينا صــلوات خمس وفــرض علينا صــيام رمضان، لكن سـنت لنا مع هـذه الفـرائض سـنن، فالسـنن بمثابة السـياج لهذه الفرائض، فالإنسان الذي يقيم فرض الصلاة وسننها تبقى فريضــته مكينة، بينما الإنسان الذي يقيم الفريضة ولا يقيم السـنن تبقى فريضـته ضـعيفة، فكما أن قـوة الفريضة بما يحيط بها من نوافل فكـذلك الصـلاح والشهادة تقويان بوجود مقـام الصـدّيقية، ونحن إذا ما بـذلنا جهـوداً في تعميق مقام الصلاح فقط كأن دعونا إلى الإيمـان والعمل الصـالح، وبقينا عند هذا القدر ولم ننمّ الرغبة في الشهادة في سبيل الله ولم نُرب على مقام الصدّيقية، فقضية الصلاح ذاتها تبقى ضعيفة، لكن إذا نمينا الصـلاح وحاولنا أن ندفع نحو مقام الشهادة، ودفعنا نحو مقام الصدّيقية، ساعتئذ ترى المجتمع الإسلامي متكاملاً والإسـلام أكـثر عمقـاً، ومن ههنا نقـول: إنّه بقدر ما نبذل من الجهود لتعميق معنى الصـلاح يجب أن نبـذل جهـوداً لتعميق معاني الشهادة ومعاني الصـدّيقية، وبـذلك تتكامل حيـاة المجتمع الإسلامي، لأن الصدّيقيين هم الذين يشـدون النـاس إلى مقـام الشـهادة ومقام الصلاح إنّ محور مقام الصدّيقية يدور على تعميق معـاني الإيمـان من ناحيـــة، وعلى التفطّن إلى دقـــائق في الأعمـــال من ناحية أخـــرى، فالصـــديقية يغلب عليها الجـــانب القلـــبي أكـــثر مما يغلب عليها العمل الظاهر، فإحياء معـاني الصـديقية يكمن في التفـتيش عن دقـائق إيمانية وعن دقــائق قلبية مثل الإخلاص والزهد والمحبة والتســليم والرضا وعن دقائق في الأعمال والتنزه عن نوع منها، فلقد ورد في صحيح مسلم عن رسولنا عليه السلام "لا ينبغي لصدّيق أن يكون لعّاناً".

إن إحيــاء مــراتب الكمــال الــتي ذكرناها من الأهميّة في المكــان الكبير، لذلك أدّبنا الله عز وجل أن ندعوه يومياً في صلواتنا بقوله {اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم} [الفاتحة: 06-07] يعـني صراط النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين بنص القرآن، فهؤلاء هم محل القدوة، فكما أن محل القدوة في الدعوة الإسلامية الأنبيــاء عليهم الصلاة والسلام فكذلك الصدّيقون والشهداء والصـالحون، وإذاً فبقـدر ما يوجد في الأمة الإســلامية صــدّيقون وشــهداء وصــالحون تكــون القــدوة موجودة في حاضر الأمة الإسلامية. ولنا أن نتساءل: ما الذي جعل مراتب الكمال الثلاث الصلاح والشهادة والصـدّيقيّة تضـعف؟ والجـواب أن هنـاك

رتبة أخرى قد ضعفت في الأمة الإسلامية هي رتبة الربّانيــة، فالربّــانيّون في هذه الأمة قلّوا فترتّب على ذلك ضعف عام في مراتب الكمال ولذلك نقول:
إنّه إذا ما أردنا أن نحيي مراتب الكمال، أو نقويها فلابــدّ أن تكــون البداية هي إحياء مقــام الربّانيــة. ومن قوله تعــالى {ما كــان لبشر أن يؤتيه الله الكتــاب والحكم والنبــوة ثمّ يقــول للنــاس كونــوا عبــاداً لي من دون الله ولكن كونــوا ربــانيين بما كنتم تعلمــون الكتــاب وبما كنتم تدرســون} [آل عمران: 79]. ومن قولهم يــوم مــات ابن عبــاس رضي الله عنهما (اليــوم مــات ربّــانّي هــذه الأمــة) نســتطيع أن نتلمس معــاني الربّانّية المفقــودة. فنموذج الربانية هو ابن عبــاس في معرفته الكتــاب والحكمة وفي قدرته على تعليم الكتاب والحكمة والربانية بنص الكتاب: دراسة وتعليم للكتــاب، وتعليم الكتاب في عصر الصحابة يدخل فيه تفهيمه والتحقيق فيــه، ولقد كــان خلق رســول الله صــلى الله عليه وســلم القــرآن، فــالمعلم الــذي لا يستطيع أن يربى عليه، وأن يحقق فيــه، ليس هو المعلم الربــاني، وليس هو الوارث الكامل لرسول الله عليه الصلاة والسلام، فالرباني هو القــادر على تزكية النفس وهو القـــادر على الارتقـــاء بالمســـلم إلى مقامـــات الصديقية والشهادة والصلاح لأن مهمته هي مهمة رســول الله صــلى الله عليه وسلم لكنه لا يوحى إليه.
ومن الآية التي مرّت معنا نــدرك أن مطلبــاً أساســياً للرسل عليهم السلام يحاولون أن يوجدوه هو مقام الرّبانية {ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب... ولكن كونوا ربّانيين} [آل عمران: 79]. يــفهمـمن ذلك أنّ مطلباً رئيســياً يريــده الأنبيــاء عليهم الصــلاة والســلام هو أن يوجد ربّــانيّون في الأمة لأنه يتوقّف على ذلك كل ما بعـــده، ومن ههنا تـــأتي أهمية وجـــود الربّــانيين في المجتمع الإســـلامي. إنه بقــدر ما يضــعف مقــام الربّانّية يضــعف الإســـلام في القلـــوب والنفـــوس وذلك هو السر الأساسي في ضعف مراتب الكمال الــتي ذكرناهــا، وخاصّــة مقــام الصــديقية ســواء من حيث العــدد أو من حيث النســبة أو من حيث الكمــال. إن شــرط وجــود الصديقية والشهادة والصلاح هي وجود الرســول صــلى الله عليه وســلم، فــإذا فقد الرســول عليه الصــلاة والســلام فــالوارث الكامل هو شــرط الوصول إلى الكمال في مــراتب الكمــال الثلاث، وقد جعل الله الغاية في الهداية هو الــولي المرشد فقــال تعــالى {ومن يضــلل فلن تجد له وليــاً مرشــداً} [الكهــف: 17] لقدختمت النبــوة برســولنا عليه الســلام {ولكن رسول الله وخاتم النبيين} [الأحزاب: 40]. فـمن يقوم مقامه في التعليم والتزكية؟ لا شك أنهم وراثه وهم العلماء، ولكن أي علمــاء؟ إنهم العلمــاء الربانيون، فــإذا فقــدوا فلابد أن يتــأثر الكمــال، وإذا قلّــوا فلابد أن يتــأثر الكمال، وإذا كثروا فمظنة الخير أكــثر. وإنما قيد تعليم الربــاني بالكتــاب، وأطلقت دراسة الرباني، لأن الرباني يســتطيع من خلال الكتــاب أن يعلم كل شيء يحتاجه الإنســان، فقد وصف القــرآن بقوله تعــالى: {وتفصــيل كل شـــيء} [يوســـف: 111]. {ونزلنا عليك الكتـــاب تبيانـــاً لكل شـــيء} [النحل: 89]. وهذا يقتضي من معلم القــرآن أن يــدرس دراســات كثــيرة، ولذلك أطلقت دراسة الربــاني: {وبما كنتم تدرســون} [آل عمــران: 79]. فمعلم القــرآن ينبغي أن يســتوعب من الدراســات ما يســتطيع أن يغــني الدارسين للقرآن في كل عصر ومصر وهذا يقتضي دراســات واســعة. ثم إن الدراســـات للربـــاني تتوسع وتتجـــدد كلما امتد الزمـــان والمكـــان، فالصــحابي الــذي يعيش في البيئة العربية ســاعة نــزول القــرآن الكــريم ويســـمع حــديث الرســول عليه الصــلاة والســلام مباشــرة، أو من خلال صحابي آخر، لا يحتاج إلى دراسة اللغة العربية ولا إلى دراسة مصــطلحات علــوم الحــديث، ولا يحتــاج إلى معرفة الرجــال، والصــحابي الــذي يعيش الفهم الفطــري للقــرآن ولا يواجه أفكــاراً منحرفة في العقائد لا يحتــاج

إلى دراسة شـيء اسـمه عقائد أهل السـنة والجماعة ومـوقفهم من فكر الفـرق الآخـرى أو مـوقفهم من فكر الأديـان الـذين يضـطرون لمناقشة أهلها، كما إنهم لا يحتاجون إلى دراسات كثـيرة لمعرفة حـال المسـلمين وقتذاك، فدار الإسلام حدودها معلومة معروفة بينما يحتاج الربـانيون في أجيـال لاحقة إلى هـذا وأمثالـه، ولـذلك أطلقت كلمة الدراسة ومن ههنا تعرف جهل الذين ينكرون ضرورة الدراسات المتعـددة المتجـددة كلما جد جديد أو ولد قرن جديد ومن ههنا نجد القـائمين على الدراسـات الجامعية سواء أكـانت إسـلامية أو غـير إسـلامية يسـتحدثون كراسي الدراسة لكل علم تثبت لهم ضـرورته. والربانية بالضـرورة لا تعـني الدراسة فقـط، بل تعـــني معها القـــرآن الكـــريم، وتعليم القـــرآن يقتضي معرفة بالســـنة، ويقتضي قـــدرة على تزكية الأنفس، ومن ههنا لابد أن يكـــون الربـــاني متحققاً بالصلاح وطلب الشهادة في سبيل الله ومقـام الصـديقية ففاقد الشيء لا يعطيه، فالرباني مالم يكن متحققاً لا يستطيع أن يحقـق، فهل لنا بعد هذا البيان أن نحـدد بعض المعـالم. إنّ كلمة الربّـانّيين ليست كلمة يدخل فيها كلّ فـرد من الأفـراد، وإنّما يـدخل فيها النـاس الـذين عنـدهم قدرة على تعليم الكتاب والذين عنـدهم دراسـات، ومن السـياق نفهم أنّ هذه الدراسات هي الدراسات التي تؤهّلهم لفهم الكتــاب وتعليمه والــتي تعين على التحقق بـه. فـإذا كـان تعليلنا لنقص مـراتب الكمـال في الأمة الإسلامية كمًّا وكيفاً يرجع إلى النقص في قضية الربّانية فإنّ علينا إذا ما أردنا أن نحيي مراتب الكمال هذه أن نوجد الطبقة التي يمكن أن نسمّيها طبقة الربّانّيين.

فإذا ما أردنا أن ننقل الأمة إلى أن تعود إليها مراتب الكمال، فلابد أن يوجد الربــانيون القــادرون على العطــاء، وإذا كــان القــرآن قد جمع معالم الربانية بكلمتين تعليم الكتاب والدراسة، فإن ذلك يدخل فيه أشياء كثيرة، يدخل فيه تعليم الكتاب تلاوة ويدخل في ذلك تفهيمـه، وتطبيقـه، وكيف تصلح الحياة على هـذا، فالإنسـان الـذي يمتلك القـدرة على تعليم الكتاب يعني بالضرورة أنه قادر أن يعلم النـاس كل شـيء يحتـاجون إليه في أمر دنياهم وأخراهم على ضوء الكتاب، فتعليم الكتاب إذن يدخل فيه كل هذا أما الدراسة فإنه يدخل فيها كل ما يلزم لذلك. إنّك لا تستطيع أن تعلّم الكتاب إذا لم تكن متقناً لعلـوم اللغة العربيـة، ومتقنـاً لفن التلاوة، وكذلك لا يمكن أن تفهم كتاب الله إذا لم تدرس السنّة النبويـة، فالله عز وجل قال: {أقيموا الصـلاة}. لكنّ الـذي فسّـر لك كيف تقـام الصـلاة هو السنّة النبوية، والكتاب والسـنة تنبثق عنهما الأحكـام الـتي تغطي شـئون الحيــاة كلّهــا، فما من حكم يحتاجه الإنســان في حياته إلا ولله عز وجل حكم فيه: وهذا الحكم يعرف إمّا من صريح القـرآن الكـريم أو من صـحيح السنّة أو من هذا وهذا. واستنباط الأحكـام من الكتـاب والسـنّة له أصـول وقواعد، وإذا أردت أن تفهم القرآن الكـريم لابـدذ أن تفهم هـذه القواعد التي تستنبط بواسطته الأحكام، من ههنا تأتي ضرورة علم أصول الفقه، وبالتالي فأصول الفقه ينبغي أن يكون داخلاً في دراسة الربّانّيين.

وتنبثق عن الكتـاب والسـنة أحكـام، فالكتـاب والسـنة بينّا للمسـلم عقيدتـه، وبينا للمسـلم كيف يـزكّي نفسـه، وبينا للمسـلم حكم الله في القضــايا العملية الــتي يحتاجها في حياتــه، ومن ههنا يــدخل في دراسة الربّــانّيين علم العقائد وعلم الســلوك وعلم الفقــه. ومن المعـروف في حياة الصحابة رضوان الله عليهم أنّهم كانوا يقولـون: "كنّا نـؤتى الإيمـان قبل القرآن" هذه كلمة مأثورة عن أكـثر من صـحابي، وإذاً فعلم الإيمـان الذي هو مقدمة لعلم القرآن الكريم يدخل في دائرة دراسة الربّاني. قال تعالى: {ما كنت تدري ما الكتـاب ولا الإيمـان} [الشـورة: 52]. وإذاً فمما يـدخل في دراسة الربّـاني علم الإيمـان وزكـاة النفس، فـإذا لم يكن عند الربّاني علم ذلك لا يستطيع أن ينقل الناس إلى هذه المعـاني، ولنعـرض

المسألة عرضاً آخر، فمما منّ الله به على هـذه الأمة الإسـلامية أن بعث لها رســولاً، ومن مننه على هــذه الأمة أن جعل هــذا الرســول متصــفاً بصفات معيّنة، تجد ذلك في قوله تعالى: {كما أرسلنا فيكم رسـولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويــزكيكم ويعلمكم الكتــاب والحكمــة} [البقــرة: 151]. نفهم من ذلك أنّ من مهمّات الرسول صلى الله عليه وسلم تلاوة الآيـات وتعليم الكتاب وتعليم الحكمة، ومن مهماته تزكية النفس، فـإذا قلنا بـأن الربّاني هو الذي يرث رسول الله صـلى الله عليه وسـلم فـذلك يعـني أن من مهمـات الربّـاني تزكية الأنفس، فكيف يسـتطيع الربّـاني أن يــزكّي الأنفس إذا لم يكن عنـده علم ذلـك؟ ومـرّة ثالثة نقـول: إن وجـود طبقة ربّانّيين عريضة في الأمة الإســلامية هي نقطة البداية من أجل أن تتعمّق مراتب الكمال في الأمة الإسلامية كمقدمة لوجـود الصـدّيقين والشـهداء والصــالحين، ولـذلك فـإنني أرى أن مما ينبغي فعله هو أن تتوجّه قلـوب قطاع عريض جداً من المسلمين لهذه القضـية بالـذات... وبقـدر ما يكـثر الذين يتفرّغون لقضية الربانية ويستطيعون أن ينقلـوا الأمة إلى معالمها فإننا نكون سائرين على قدم الأنبيـاء عليهم الصـلاة والسـلام. إنّني أدعو دعوة عامة كل ّ من اقتنع بهذا الكلام أن ينوي ويبدأ السـير في الطريـق، ومن اجتمعت له نيّة وهمّة فالله يعطيــه، وفي كل الأحــوال هو مــأجور، وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: "لو كـان الإيمـان في الثريّا لناله رجل (أو رجال) من أبناء فارس".

نحن الآن نشكو أن مراتب الكمال فينا ضـعيفة، ونلاحظ أن أجواءنا ليست هي الأجواء الكاملة، ومنذ فترة طويلة تعاني الحركة الإسلامية من مثل هذا حتّى اعتاد أبناؤها أن يقولـوا: عنـدنا نقص روحي، وعنـدنا نقص تربوي، وعندنا نقص ثقافي، هذا الكلام يتكرّر على الألسـنة ويبـدو لي أنّ هذا الكلام سيبقى مسـتمراً حتّى توجد طبقة عريضة قد تحققت بمعـاني الربّانية وإلى أن يحدث ذلك سنبقى نعاني وسنبقى نشكو، وما كان يعتبر عـــذراً في الماضي لم يعـــدْ الآن عـــذراً. في الماضي كنت تجد العلـــوم المتوارثة في الغــالب عند شــيوخ لم يــدرك الكثــيرون منهم احتياجــات عصرهم، فإذا ما قاربهم الشباب حاولوا أن يثنوهم عن الحق الـذي آمنـوا به، واستقطبت الدعوة الإسـلامية شـباباً وتلك سـنة دعـوة الأنبيـاء {فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملإيهم} [يونس: 83]. وهؤلاء الشباب كانوا بعيدين عن الثقافة الإسلامية المتوارثة، وكان الداعية مستغرقاً بعمليات التأسـيس والأولويـات الـتي تقتضـيها وبعملية المواجهة مع الإسـتعمار والأولويـات الـتي تسـتدعيها. فكـانت هـذه كلّها عوامل واقعية نعتــذر بســببها عن نقص، أما الآن فلا عــذر فلابــدّ لنا أن ننهض في هـذه الأمة بكل شــيء، ولا نهـوض إلا بربّــانيّين، ولا ربانية إلا بدراسة موجهة وتعليم للقــــرآن، وإذا لم ننجح في ذلك فلا نجــــاح. نحن داخلـون عمليّـاً في معركة غـير متكافئة مع قـوى ماديّـة، ولا يوجد عنـدنا أسباب الصـراع المـادّي فـإذا لم توجد أسـباب الصـراع الإيمانّية فمعركتنا خاسرة.

الباب الرابع في المؤكدات

تحدث القرآن الكريم عن بني إسـرائيل، والملاحظ أن القـرآن وهو يحدثنا عن اليهود يذكر كلمة الأحبار وكلمة الربـانيين، فـالحبر هو العـالم، والرباني هو العالم العابد الزاهد: {إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء} [المائدة: 44]. {لولا ينهاهم الربانيون والأحبــار عن قــولهم الإثم وأكلهم الســحت} [المائــدة: 63]. فهنــاك اصطلاح الربـاني واصـطلاح الحـبر، والأصل في شـريعتنا أن الربـاني هو الحبر، والحبر هو الربـاني، والربـاني هو الـربي، والـربي هو الربـاني لأن ذلك مقتضى الوراثة لرسول الله صلى الله عليه وسـلم الـتي طـولب بها المسلم: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسـنة لمن كـان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً} [الأحـزاب: 21]، "والعلمـاء ورثة الأنبيـاء" أخرجه أبو داود والترمـذي وابن ماجه وابن حبـان. {ولكن كونـوا ربـانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون} [آل عمـران: 79]. {وكـأين من نـبي قاتل معه ربيـون كثـير} [آل عمـران: 146]. وقد فسر الربيـون بالعلمـاء. فالأصل عنـدنا أن رتبة الـربي والربـاني والعـالم واحـدة، وهـذا الذي يحتاجه عصـرنا وهـذا الـذي يحتـاج إلى إحيـاء في عصـرنا، وإنه لمن أخطر الحـالات الـتي تظهر في الأمة الإسـلامية حالة بقـاء الإيمـان في حدود الحناجر ففي الحديث الصحيح عن الإمام علي رضي الله عنه:

سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "سيخرج قومٌ في آخر الزمـان حدثاء الأسـنان، سـفهاء الأحلام، يقولـون من قـول خـير البرية يقـرؤون القرآن، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السـهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يـوم القيامـة" أخرجه البخـاري ومسـلم وأبو داود. فههنا نـاس إيمـانهم لا يتجـاوز حنـاجرهم مع أن قـولهم من خـير قـول البريـة، ولقد أخبرنا القرآن عن القلب السليم وأخبرتنا السنة عن صـلاح القلب، وكـان من مهمـات الرسـول صـلى الله عليه وسـلم كما حـددها القـرآن تزكية الأنفس {كما أرســلنا فيكم رســولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويــزكيكم

ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون} [البقــرة: 151]. فما لم يوجد المربي المزكي المعلم لا نصل إلى النفس المزكـاة ولا إلى القلب السليم وهذا لا يطيقه إلا العلماء الربانيون.

(2)

ليس أهم في الإسلام من ثلاث قضايا؟
القضيتان الأولى والثانية: التقوى والعبادة وهما متلازمتان.
القضية الثالثة: الطاعة.
لذلك كانت الأوامر الرئيسية التي وجهها الرسل لأقوامهم هي:
{فــاتقوا الله وأطيعــون} [الشــعراء: 108] {أن اعبــدوا الله واتقــوه وأطيعـون} [نــوح: 03]، ولــذلك كــان من أهم الفقه في دين الله فقه العبادة والتقـوى والطاعـة. كيف نعبد الله عز وجل وبمـاذا نعبـده وما هو مضـمون التقـوى، وكيف نتحقق به ولمن نعطي طاعتنـا؟ لله والرسـول فذلك واضح، وطاعة أولي الأمر في حـال الاسـتقامة والسـلامة واضـحة، وذلك إذا كانت هناك خلافة راشدة بل حتى ولو كــانت خلافة ظالمة لكنها تعـترف لله بالحاكمية وتقيم كتـاب الله على ضـعف أو ظلم ولكن حيث لا خلافة راشدة ولا ظالمة فلمن نعطي الطاعة؟
عندما يكون النظام كافراً فلمن نعطي الطاعة؟
هنـاك الطاعة بسـلطان القـانون والنظـام فهـذه مفروضة على المسـلم بسـلطان القـانون وهـذه ليست محل بحثنـا، وإنما محل بحثنا لمن يعطي المسلم طاعته الاختيارية؟ فعندما يكون في نظام كفري لا تـدخل طاعته في قوله تعالى: {وأولي الأمر منكم} [النساء: 59]، والذي نسـتطيع أن نفتي به هو أن الطاعة الاختيارية في هذه الحالة تكون للعلماء الربـانيين فهم وراث النبوة، وعلى مثل هـذا نسـتطيع أن نحمل حملاً مباشـراً كلام ابن عبــاس رضي الله عنهما في تفســيره أولي الأمر بــأنهم العلمــاء الفقهـاء ويشـهد لما ذكرنــاه بعض روايـات حـديث حذيفة "كـان النـاس يسألون رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم عن الخـير وأسـأله عن الشر مخافة أن يدركني" فهذا الحديث أصل عظيم في الفتوى فيما يكــون بعد رســول الله صــلى الله عليه وســلم ففي بعض روايــات أبي داود لهــذا الحديث ما يلي: "قلت يا رسول الله ثم ماذا؟ قال: إن كان لله خليفة في الأرض فضــرب ظهــرك وأخذ مالك فأطعه وإلا فمت وأنت عــاض بجــذل شجرة" وفي رواية أخرى: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكرر أمراً ثلاث مرات عقب كل سؤال هو: "تعلّم كتاب الله واتّبع ما فيه" وفي هذا إشارة إلى التلمذة على الربانيين قال تعـالى: {ولكن كونـوا ربـانيين بما كنتم تعلمـون الكتـاب وبما كنتم تدرسـون} [آل عمـران: 79]. فتعلم كتاب الله يقتضي أخذاً عن الربانيين فكأنّ الحديث يشـير إلى ما ذكرنـاه: أن الطاعة الاختيارية في حالة فقــدان الخلافة إنما هي لــورّاث الأنبيــاء عليهم الصــلاة والســلام وكما قلنا فليس كلامنا في الطاعة المفروضة بسلطان النظام والقانون.

إن الربانيين من ورثة الأنبياء هم المؤهلـون لإيصـال الإنسـان إلى التقوى: تقوى القلب وتقوى السلوك وإلى كمـال العبـادة بالإيصـال إلى مقام الإحسان "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" وهم الــذين يسـتأهلون الطاعة الاختيارية في أوضـاع عصـرنا ومن ههنا كـان وجود رتبة الربانية من أهم أمور عصرنا.

(3)

ولنعد إلى بعض النصوص: {يحكم بها النبيون الذين أسـلموا للـذين هـادوا والربـانييون والأحبـار بما اسـتحفظوا من كتـاب الله وكـانوا عليه

شـهداء فلا تخشـوا النـاس واخشـون ولا تشـتروا بآيـاتي ثمنـاً قليلاً} [المائدة: 44]. {لولاينهاهم الربانييون والأحبار عن قـولهم الإثم وأكلهم السحت...} [المائدة: 63]. من هاتين الآيتين نعرف أن هناك طبقتين في بني إسرائيل كان المفروض أن يقوما بدورين رئيسـيين الـدور الأول: أن يحكم كتـاب الله عز وجل المجتمع الإسـرائيلي، الـدور الثـاني: أن ينهى هـؤلاء عن المنكـر. ثم إن هنـاك دوراً ثالثـاً للربـانيين نصت عليه الآيـة: {ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمـون الكتـاب وبما كنتم تدرسـون} [آل عمران: 79] والأصل في شريعتنا أن يكون الربـاني هو الحـبر كما اجتمع ذلك لابن عبـاس فقد كـان يطلق عليه حـبر هـذه الأمـة، كما أطلق عليه ربـاني هـذه الأمـة، ولكن حـدث في كثـير من الأحيـان أن انفصـلت رتبة الربانية عن رتبة العلم، فأصـبح في الأمة الإسـلامية ما يطلق عليه اسم العلمـاء، وأصـبح فيهم ما يسـمى بالصـوفية وأعطي بعض النـاس أئمة التصوف اسم الربانيين فصار يقـال الإمـام الربـاني، ويصـرف النظر عن المناقشة في هذه الشئون، فإن المجتمع الإسلامي كان ينبغي أن يقـوم به طبقتـان بحقـوق الله عز وجـل، والنهي عن المنكـر، ولأمر ما فـإن الطبقـتين لم تقوما في القـرن الرابع عشر الهجـري قيامـاً كـاملاً بهـذه المهـام حـتى إن الـدعوة إلى الله تصـدر لها في الغـالب الشـباب المتحمسون وجزاهم الله خيراً. ولكن بقي فراغ ما في العمل الإسـلامي نتيجة لغياب العلماء والربـانيين عن السـاحة فالأصل أن عامة المسـلمين ينتظـرون من علمـائهم كلمة الفصل ومن خلال العلمـاء يثقـون أو لا يثقون، والأصل أنه في قضايا الإسلام والمسـلمين أن يكـون العلمـاء هم القادة وهم السادة وإليهم مرجع الناس في كل ما حزبهم وقد بقي هـذا المكان شاغراً. لقد استطاع الإخوان المسلمون أن يشـكلوا تيـاراً عالميـاً وجزاهم الله خيراً. ولقد استطاعت جماعة التبليغ أن تشكل تيـاراً عالميـاً وجـزاهم الله خـيراً. ولكن الفقهـاء والربـانيين على كـثرة وجـودهم في الأمة الإسلامية بقي أثرهم محلياً وترتيباتهم ضعيفة.

***

إن مقدار ما يأخذه الإنسان في جماعة قائمة على الـدعوة كجماعة التبليغ فيما يتعلق في النضج العلمي مقـدر بقـدر وهم ينهبـون على ضـرورة الأخذ عن العلمـاء ومقـدار ما يأخـذه الإنسـان من نضج علمي وروحي من جماعة قائمة على الـوعي والحركة كجماعة الإخـوان المسلمين مقدر بقدر ولذلك سمح الأستاذ البنا لإخوانه أن يتتلمـذوا على من يقـدم فائـدة إذا تـوافرت شـروط ولقد كنا نشـعر ونحن شـباب بهـذا النقص فكنّا نفر إلى العلماء والربانيين لنأخذ علماً وروحـاً وقيض الله لنا علماء ربانيين كانوا يحبون الدعاة والمتحـركين فكـانت تتكامل بوجـودهم أعمال الدعاة والحركيين ولكن العلمـاء والربـانيين بـدأ أثـرهم ووجـودهم يتضـاءل أمـام النشـاطات التنظيمية والدعوية والحركية الـتي تجتـذب الأجيال الجديدة مع بقاء ثغرة النضج الروحي والعلمي قائمة، فـالظروف تبقي الأجواء غير مؤهلة لهذا النوع من النضج الذي يحتاج إلى صبر وإلى أجواء مناسبة. وفي كثير من الأحيان لو أراد الفقيه أو الربـاني أن يفعل شيئاً نجد صوته ضـائعاً فالحركة والـدعوة لا تبقيـان عند أصـحابهما وقتـاً للتوقف. هـذا كله يقتضي سد هـذه الثغـرة بإيجـاد عمل يجتمع فيه الفقه والنضج الروحي مع الحب والـود لكل العـاملين للإسـلام. إنه لمن الواضح أنّ الأمة الإسـلامية في هـذا القـرن تحتـاج إلى عمل مكمل لا يلغي الموجـود بل يدعمه ولكنه ينشـيء المفقـود ويتلافى القصـور، من خلال أف رحيب يتجـاوز الأشـياء الصـغيرة من أجل الأشـياء الكبـيرة، فالعمل الإسلامي يحتاج إلى نضج علمي وروحي. وحكومات العالم الإسـلامي في

الغـالب تحتـاج إلى ناصح مشـفق. والعـاملون للإسـلام يحتـاجون إلى من يوجد شرارة تفاعل. وهذا القرن الحالي له سماته ومن سماته:
أنه لايعطي فرصة في الغالب إلا للتغيير المتطور.
وهذه السمة لهذا القرن تجعل من واجب بعض الإسلاميين أن يعملوا في الإطار المقبول المكشوف وفي إطار البناء المتدرج في هذا العالم ولهذا العالم أخذاً وعطاءً.

الباب الخامس في قواعد مقترحة لضبط السير

لقد تـــركت قضـــية الربانية في القـــرن الماضي في مفهومها الثقـافي والأخلاقي والـروحي للعفويـة، فلم تشـكل هـذه الربانية تيـاراً عالميـاً كما ينبغي أن يكـون، فهل تـترك في هـذا القـرن للعفوية أو أن الأمر لا يحتمل مثل هـذا؟. واقع الحــال أن الأمر لا يحتمل ذلك فإيصــال الثقافة المفروضة إلى كل مسلم يحتاج إلى ترتيب، وإيجـاد واقع أخلاقي يحتـاج إلى بيئة وتـرتيب، وإيجـاد حيـاة روحية نشـطة يحتـاج إلى تـرتيب، والخدمة والنصيحة وإقامة فروض الكفايات كل ذلك يحتاج إلى ترتيب. ثم إن ضـبط السـير ليبتعد عن الخطر والضـرر، ثم إن تبـادل الخـبرات ومـدّ جسور التعاون وتعميق معاني الإخاء الإسلامي على هذه الساحة الواسعة من الأرض وبين هذه الأعداد الهائلة من المسلمين يحتـاج إلى تـرتيب، ثم تقعيد السـير وتحريـره وتأكيد ما ينبغي تأكيـده يحتـاج إلى تـرتيب وهـذه بعض الاقتراحات للسير.

القاعدة الأولى

لا يُقطع أحد عن شيخ فقه أو سلوك أو عن عمل إسـلامي مفيد إلا في حالة الشذوذ العقدي الـذي لا تجـيزه فتـوى إمـام مجتهد فعمل حركة إحيـاء الربانية مكمل لا نـاقض، يـدعم الموجـود وينشـيء المفقـود يفيد الجميع ويقوي الإخاء الإسلامي.

القاعدة الثانية

أساس السير علم وذكر: "الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالماً ومتعلماً" فمن لا ذكر له لا سير له ومن لا سـير له في

طريق العلم الشرعي فهذا مقصر، فلابد من الذكر وتلاوة القرآن وحضور مجالس الذكر ولا بد من المطالعة المفيدة في كتاب موثق وحضور مجالس العلم وإلا فلا سير.

القاعدة الثالثة

العبرة أن يكون للسالك ورد يومي فإن أخذه عن شيخ لا حرج عليه، وإلا فإنه يلتزم بالأوراد المعتمدة للحركة أو يجمع بين هذا وذاك، والحد الأدنى من الأوراد: مئة مرة استغفار، مئة مرة صلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، مئة مرة لا إله إلا الله، تلاوة سورة الإخلاص ثلاث مرات، تلاوة ثلاثة أرباع الجزء من القرآن على الأقل يومياً أو سماعه، مطالعة حوالي ساعة في كتاب من كتب الوحدات الدراسية الأربع العشرة.

القاعدة الرابعة

العبرة للمضمون وأي اسم يمكن أن تأخذه حلقات طلاب الربانية:
رابطة طلاب الربانية.
حلقات طلاب الربانية.
جمعيات إحياء الربانية.
مجالس الذكر والعلم لطلاب الربانية.
رابطة طلاب العلم.
جمعية العلماء.
أو أي اسم آخر غير محظور شرعاً أو قانوناً.

القاعدة الخامسة

ليأخذ هذا العمل مداه لا بد من أن يراعى القانون والنظام العام في كل قطر، فعلى ضوء المتاح تكون الحركة وتكون المؤسسات وتكون الخدمة، فإذا أتيح في قطر إنشاء مجالس الذكر وحلقات طلاب الربانية وصندوق التكافل والتشغيل ومجالس الخدمة ومجموعات الدعوة ومجالس التخصص ونوادي الرياضة والنوادي الكشفية والمدارس الإسلامية فذلك هو الكمال، وإلا فالمتاح الممكن على ضوء القانون والنظام، ويحاول القائمون على العمل أن يتأقلموا مع أنظمة أقطارهم في حدود المباح الشرعي.

القاعدة السادسة

يحاول الربانيون تحقيق التكليف الإسلامي للفرد عبر التكليفات الشخصية والعمل الجماعي مستهدفين إقامة فروض العين وفروض الكفاية ضمن المتاح والممكن.

القاعدة السابعة

إنّ مما تستهدفه حركة إحياء الربانية إنشاء الجامعة الإسلامية الأهلية والمدارس التابعة لها، وإذا أوجدت هذه الجامعة فإنها تستأنس بتجارب الجامعات الإسلامية الرسمية وبمناهجها وأساليبها.

القاعدة الثامنة

مما يساعد على تحقيق الربانية في الواقع وجود الإدارات التالية:

أ)- إدارة الإجازات العلمية والتربوية والروحية: عبر الجامعة والمدارس أو الشيوخ.

ب)- إدارة إعمار المساجد وإحياء رسالتها.

ج)- إدارة الخدمات العامة.

د)- إدارة إقامة فروض العين والكفاية.

هـ)- إدارة شئون الدعوة والمكتبات والترجمة والنشر.

و)- الإدارة المالية للتكافل والتشغيل.

ز)- إدارة الإشراف على مجالس الذكر والحلقات وجمعيات إحياء الربانية.

ح)- إدارة تخريج المقرئين والمنشدين.

ط)- إدارة الإشراف على الاعتكافات.

ي)- إدارة شئون الاختصاصات.

ك)- إدارة تحسين العلاقات بين المسلمين.

القاعدة التاسعة

حلقة طلاب الربانية هي الوحدة العملية التي يأخذ فيها المسلم ثقافة ومذاكرة وهي التي تنظم القيام بالواجبات وهي التي تنظم الخدمة والاشتراك المالي والاختصاصات والدعوة وغير ذلك....

القاعدة العاشرة

نحن لا نعتبر هذه الحركة جماعة المسلمين التي من لم يلتزم بها مات ميتة جاهلية بل هي مجموعة من المسلمين تعاقدت على تحقيق فروض عينية فيما بينها وعلى تحقيق فروض كفائية تحقيقاً لقوله تعالى: {وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان} [المائدة: 02]. ولكن نرجو أن تكون من الطائفة المنصورة.

القاعدة الحادية عشرة

تعطي جامعة إحياء الربانية الإجازات التالية:

1- إجازة في القرآن وعلومه وتلاوته.
2- إجازة في الحديث وعلومه وبعض كتبه.
3- إجازة في اللغة العربية وعلومها.
4- إجازة في أصول الفقه.
5- إجازة في فقه الربانية.
6- إجازة في الأصول الثلاثة.
7- إجازة في الفقه.
8- إجازة في فقه الدعوة.
9- إجازة في التوحيد والعقائد.
10- إجازة في التاريخ الإسلامي وتحليل أحداثه.
11- إجازة في المنهج.
12- إجازة في علم التزكية.
13- إجازة في الدراسات الإسلامية الحديثة.
14- إجازة في العلوم المعاصرة.

القاعدة الثانية عشرة

مما يستهدفه الربانيون:

- **تطوير الأحياء والقرى بالمشروعات النافعة.**
- **تقريب الشقة بين الشعوب الإسلامية وحكوماتها على الإسلام.**
- **تقديم النصيحة الخالصة للجميع.**
- **تقريب الشقة بين حكومات العالم الإسلامي.**

القاعدة الثالثة عشرة

حيثما كان هناك حكم شرعي ينشرح له صدر صاحبه فلا يلتزم إلا به إلا إذا خالف إجماعاً.

القاعدة الرابعة عشرة

مما يستهدفه الربانيون:

- **تبيان الغلو وتخطئة أهله.**
- **تصحيح التأويل الجاهل.**
- **حل المشكلات – إصلاح ذات البين – رفع الظلامات.**

القاعدة الخامسة عشرة

كل اجتماع يحتاج إلى تحضير مسبق ولا يصح أن يتم اجتماع دون تحضير مسبق له.

القاعدة السادسة عشرة

كل عمل لا يقوم به شخص مؤهل يكون معرضاً للفشل ولذلك ينبغي أن يعتمد الربانيون مبدأ التأهيل والتخصص.

القاعدة السابعة عشرة

وفي حالة وجود مختصين يملأون شواغر العمل الإسلامي التعليمي فبالإمكان إنشاء دور متخصصة لكل جانب من جوانب الثقافة الإسلامية.
1- دار القرآن 2- دار الحديث 3- دار العربية 4- دار الفقه وأصوله 5- دار العقائد 6- دار الدعوة وفقهها....

القاعدة الثامنة عشرة

تشكل الدورات جزءاً رئيسياً من عمل الربانيون وبالإمكان أن توجد دورات مكثفة في العلوم ثم يطالب الطالب بدراسة كتبها فيما بعد ويقدم في ذلك إمتحاناً.

القاعدة التاسعة عشرة

يبتعد الربانيون عن أي مظهر من مظاهر التنافسات الإدارية، والرابطة بين الربانيين رابطة أخروية، والجميع يخضعون للحكم المجمع عليه ومن له مذهب يلتزم بمذهبه وفي القضايا المصلحية يحاول الجميع أن يفروا من آرائهم إلى آراء الشورى.

القاعدة العشرون

مراحل السير: مرحلة الانتساب، مرحلة طلب الربانية، مرحلة طلب الأستاذية.

القاعدة الحادية والعشرون

إن إحياء الربانية يحتاج إلى أن تمضي هذه العملية بعيداً عن المعارك السياسية ومواقف المواجهة، إلا في قطر له ظروفه الاستثنائية القاهرة، فالمواجهة أو العمل السياسي يبقيان لمن ينتدب نفسه لذلك، أما هذا العمل فيجب أن ينال أمناً واطمئناناً ليظهر بوضوح ظلم من يعارضه: {ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين} [البقرة: 114].

القاعدة الثانية والعشرون

إذا تطورت الحلقات فأصبحت جمعية فإنه يكون لكل جمعية مرجع وهو نقيبها وأمين سر ومسئول مالي ومسئول فني ومسئولون آخرون يغطون عمل الجمعية وإنما تحدد المسئوليات من خلال العمل والموجه العام ثم المرجع وله الكلمة الفصل في كل شيء، وأمين السر مهمته التنظيم والترتيب والمتابعة على ضوء توجيهات الموجه العام أو المرجع، والمسئول المالي مهمته ترتيب جمع الاشتراكات والتبرعات، والصرف يكون على ضوء أوامر الموجه العام أو المرجع، والمسئول الفني مهمته متابعة كل فرد في سيره الثقافي.

القاعدة الثالثة والعشرون

تفر حركة إحياء الربانية من الألقاب والتعقيدات الإدارية والتنافس على الأسماء والإداريات فتعتمد في كل تسمياتها أسماء متواضعة كالطالب مثلاً وإذا أعطت اسماً فحيث لا يكون جو تنافس أو تحاسد، وحيث لا بد منه أو حيث يكون في ذلك إحياء سنة.

القاعدة الرابعة والعشرون

توزع الاختصاصات على أبناء الجمعية ويمكن أن يكون للفرد أكثر من مسئولية فهناك مرجع الجمعية مرجعها ورئيسها ثم المسئول عن أحد العلوم الشرعية أو أكثر وهناك من يخدم أهل الذكر والمسئول عن الدعوة والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمسئول عن الخدمات: عيادة مريض، تجهيز ميت، إغاثة ملهوف، قضاء حاجة، تفريج كربة، تأمين جائع أو محتاج، والمسئول عن صندوق التكافل والتشغيل وإذا كان لقطر أوضاع خاصة فإن كل وضع من هذه الأوضاع يمكن أن يكون له مسئول عنه في الجمعية وهذا كله يراعي واجبات المسلم نحو نفسه وواجباته نحو الخارج، فواجباته نحو نفسه: علم وذكر واجتماع وواجباته نحو الخارج تعليم ودعوة ونصيحه وإحقاق حق وإبطال باطل وإحياء فروض عينية وكفائية. وعلى هذا فبالإمكان أن نتقدم بنموذج على توزيع العمل في الجمعية بما يغطي ذلك مع ملاحظة أن كل مسئولية يمكن أن يتعاون فيها أكثر من عضو:

1- مرجع الجمعية.

2- أمين السر.
3- مسئول عن الذكر.
4- مسئول عن علم أصول الربانية وفقه الدعوة.
5- مسئول عن علوم الأصول الثلاثة وعلوم القرآن والتلاوة ومفردات القرآن.
6- مسئول عن علم أصول الفقه والفقه.
7- مسئول عن علوم اللغة العربية.
8- مسئول عن الدوريات والدراسات الإسلامية الحديثة.
9- مسئول عن السيرة والتاريخ الإسلامي وحاضر العالم الإسلامي.
10- مسئول عن علوم الحديث.
11- مسئول عن فقه المنهج.
12- مسئول عن علم السلوك إلى الله عز وجل.
13- مسئول عن علم العقائد.
14- مسئول عن الدعوة والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
15- مسئول عن إيجاد العلاقات الطيبة.
16- مسئول عن الخدمات.
17- مسئول عن مجالس الخدمة المتخصصه.
18- مسئول عن فروض الكفاية.
19- مسئول عن الفروض العينية.

هذا نموذج ويمكن أن تدمج عدة أعمال مع بعضها كما يمكن أن توزع بعض الأعمال والتجربة المشدودة إلى الأصول والفطرة هي التي تضع الأمور في مواضعها.

القاعدة الخامسة والعشرون

قد يحدث أن يكلف إنسان بمهمة وليس مؤهلاً لها فعليه أن يؤهل نفسه لها، فمثلاً لو كلّف بتعميم علم أصول الفقه فعليه أن يبدأ المطالعة والقراءة ويشكّل حلقة الدراسة فيقرأ هو من يستجيب له في هذا العلم وكان من سنن علمائنا أن يقرأوا قراءة سردية لبعض الكتب دون الوقوف عند عباراتها ثم يعيدون قراءتها مرة أخرى لتفهم، ويحاول المكلف أن يجد له من يرجع إليه وبالإمكان أن يطلب هو وإخوانه من بعض المختصين أن يعطوهم دروساً في اختصاصهم.

القاعدة السادسة والعشرون

يمكن أن توجد حلقات طلاب الربانية على مستويات متعددة على مستوى مدرسة أو جامعة أو حي أو دائرة مسجد، ولا يتعارض ذلك مع بعضه فمادام الهدف هو إيصال الذكر والعلم وإحياء واجبات الدعوة والنصيحة والخدمة وإحياء فروض العين والكفاية فمهما كثرت الحلقات أو الجمعيات فلا حرج، ولو انتسب إنسان لأكثر من جمعية أو حلقة فلا حرج مادام عنده فراغ وكان قادراً على القيام بالواجبات.

القاعدة السابعة والعشرون

تحاول حلقات إحياء الربانية ألا يكون عندها ظاهر يخالف باطناً وذلك كي لا تكون مخادعة لأعضائها فتسبب ضرراً لهم.

القاعدة الثامنة والعشرون

يمكن أن تبدأ أي مجموعة بإنشاء حلقة من حلقات طلاب الربانية وبالتالي فإن إحياء الربانية يكون قد بدأ ولكن ما تحتاجه الأمة الإسلامية بمجموعها أو قطر من أقطارها قد يحتاج إلى مؤسسات وترتيبات لابدّ منها.

القاعدة التاسعة والعشرون

تتطلع حركة إحياء الربانية أن يشارك فيها كل مسلم، ولكن القبول للفكرة والالتزام فيها والانصهار بالذكر والعلم على ضوء المرسوم فيها هو البداية الصحيحة وإذا لم تتوفر هذه الشئون فإن طلاب الربانية يبقون حذرين من أن تحاول جهة أن تصرف هذه الحركة عن مسارها المحدد.

القاعدة الثلاثون

تحتاج حركة إحياء الربانية لتعميمها قطرياً وعالمياً إلى مؤسسات وهذا يقتضي من أهل الفضل أن يتعاونوا، كما يقتضي نوع ترتيب، والترتيبات المعتمدة ينبغي أن تكون مرنة إلى أقصى حدود المرونة وفطرية إلى أقصى حدود الفطرية. وهذا يقتضي تراتيب إدارية كأن توجد هيئة تأسيسية وأمانة عامة على مستوى عالمي.

القاعدة الحادية والثلاثون

حركة إحياء الربانية تستهدف وجود الرباني، وأن يقوم هذا الرباني بواجبه، وحلقات طلاب الربانية ومجالس الذكر مهمتها إيجاد المناخ المناسب لذلك، وهناك معالم هامة تستهدي بها الحركة في كل مكان ولكن يبقى لكل قطر خصوصياته، وهناك حدود للحركة فيه، وعلى الربانيين في الأقطار أن يدركوا هذه الخصوصيات وهذه الحدود لتنضبط بذلك الأمور فلا تتجاوز دائرة الإمكان أو حد دائرة الأمان.

القاعدة الثانية والثلاثون

هناك الذين ينتدبون أنفسهم للسير إلى الربانية بالقيام بتكاليفها فهؤلاء ينتسبون إلى حلقات طلاب الربانية، وهذه الحلقات ينبغي أن تربط كل مسلم بمجالس الذكر وحلقات القرآن التي ترعى التلاوة وتعليم مفردات القرآن والحفظ، ومن مجالس الذكر وحلقات القرآن ينقل الإنسان إلى حلقات طلاب الربانية، وهناك حلقات فرعية يقيمها طلاب الربانية في العلوم الإسلامية فهذه بالإمكان أن تكون مفتوحة للمستفيدين وعبر هذه الحلقات يمكن نقل الإنسان كذلك إلى مجالس الذكر وحلقات القرآن وحلقات طلاب الربانية.

القاعدة الثالثة والثلاثون

إن الانتساب لحلقات طلاب الربانية يعني الالتزام بورد يومي من الذكر وتلاوة القرآن والمطالعة الهادفة للوصول إلى ثقافة الربانيين ومما يلحق بذلك حضور الاجتماعات ودخول الاعتكافات.

القاعدة الرابعة والثلاثون

لابد لسالك طريق الربانية من اعتكافات تتمحض للعبادة، فإذا أمكن ترتيب ذلك سنوياً في مسجد عشرة أيام في رمضان فذلك هو السنة وهو الأكمل، وإلا فمما استطاع، وأي وقت استطاع، فإذا تعذر الاعتكاف في المسجد فاعتكاف في بيت وليحاول ألا يضيع صلاة الجماعة في المسجد وإلا ففي البيت، وليحاول في اعتكافه أن يختم القرآن مرة، وأن يذكر الله عز وجل بكل أنواع الذكر المعروفة: الاستغفار، الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويكثر من قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، لا حول ولا قوة إلا بالله، مع قيام الليل وصلاة الضحى وإقامة الصلوات الرواتب وصلاة التسابيح وما تيسّر من نوافل.

القاعدة الخامسة والثلاثون

من كلام العلماء قديماً: "واللبيب يكفي الكتاب في ترقية لكنه لا يسلم من رعونة نفسه"، ومن ههنا فإننا نطالب طالب الربانية بأن يبذل الجهود الشخصية ليحصل الوحدات الدراسية مع الالتزام بحلقات الربانية والانسجام مع إخوانه فيها ليحقق التواصي بالحق والتوصي بالصبر والإخاء الإسلامي العام والإخاء الإسلامي الخاص.

القاعدة السادسة والثلاثون

وحدة العمل الرئيسية لإحياء الربانية وأعمالها هي حلقة طلاب الربانية، فمتى وجدت فقد وجد الخير بإذن الله ويمكن أن تطور حلقة طلاب الربانية نفسها أو عملها وهل يشكل طلاب الربانية فيما بعد جمعية أو مجلساً في دائرة حي أو محافظة ويأخذون بذلك ترخيصاً أو أنهم لا يحتاجون في بعض الأقطار إلى ترخيص؟ كل ذلك تجيب عليه شوراهم ولكن روح الإخاء والصلة الروحية وصلات المودة والنصيحة لابد أن تعم جميع العاملين في حركة إحياء الربانية، وإذا وجد بطريق ودي وحبي من خلال التفاهم مكتب تنسيق للقطر أو مكتب توجيه فالعلاقة علاقة ودية وحبية وتفاهم وقناعة واقتناع فحركة إحياء الربانية لا تتورط في خصومة أو شقاق فالحب هو الذي يصهر الجميع ويحرك الجميع، وإذا فقد امرؤ الحب من نفسه لإخوانه أو نقصت قناعته في السير فلا عليه من حرج أن يحقق ذاته في عمل إسلامي آخر.

فصل: في مؤسسات الجمعية

لكل جمعية ثلاث مؤسسات:

1- مجلس الأمناء وهو مجموع الإخوة المؤسسين حتى يبلغ العدد أربعين وهو بمثابة المجلس الاستشاري.
2- مجلس الربانيين وهو مجلس يضم كل من أخذ إجازة الربانية وهو بمثابة مجلس شورى الجمعية.
3- المجلس الإسلامي العام للجمعية وهو بمثابة مؤتمر الجمعية.

فصل: في انشطار الجمعية

إذا كثر أعضاء جمعية ما فعندئذ يتخذ الموجه العام إن وجد أو نقيب الجمعية قراراً بانشطارها ملاحظاً في عملية الانشطار أن يبقي العدد الكافي للجمعية الأم، وأن تكون الجمعية الجديدة قادرة على القيام بمهماتها، وأن تكون الجمعية الجديدة تغطي منطقة أو حياً أو قرية أو مجال عمل. ويفضل حيث أمكن أن يكون لكل مسجد حلقة تسمى باسمه فتكون حلقة جامع كذا لإحياء الربانية.

فصل: في أعمال الجمعية

1- إقامة مجالس الذكر.
2- إقامة حلقات طلاب الربانية لأخذ الوحدات الدراسية الأربعة عشرة.
3- إنشاء صندوق التكافل والتشغيل.
4- تحريك العضو كفرد أو مع مجموعة نحو الدعوة إلى الله وإلى مجالس الذكر والعلم وإلى الحلقات القرآنية وإلى النصح وإصلاح ذات البين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
5- توجيه الأعضاء نحو إقامة فروض كفائية مضيعة.
6- تنظيم الخدمة العامة لأبناء الجمعية خصوصاً، ثم للمسلمين عموماً، ثم للناس جميعاً.
7- تنظيم دورات علمية أو إنشاء مدارس للعلوم الشرعية.
8- حل المشكلات ورفع الظلامات وإصلاح ذات البين.

إرشادات

الإرشاد الأول:
كل عمل من الأعمال لا يتعاهده أشخاص يكونون أركاناً فيه يذبل ثم يموت، لذلك لابد لكل عمل أن يخصص لإقامته عدد يعتبرونه مهمتهم الأساسية ويصبح علماً عليهم وهم علم عليه ويدخل في ذلك كل الأعمال التي تستهدف إقامتها الجمعية.
الإرشاد الثاني:
عمدة مجالس الذكر شيخ يدير الجلسة وليلحظ في مجلس الذكر ألا يكون فيه ما يمكن أن ينكر عليه سواء في ذلك الصيغ أو غيرها، وقد ورد في البخاري ومسلم صفة لمجلس الذكر تتضمن التسبيح والتهليل والتكبير والتحميد والدعاء، وورد الاجتماع على كتاب الله وعلى العلم فحبذا لو كانت جلسة الذكر على الشكل التالي:
1- تبدأ بقراءة صفحتين من القرآن الكريم دون تفسير.
2- يصلي الحاضرون على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حدود نصف ساعة صلاة سرية.
3- يقول الحاضرون مائة مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.
4- ولا بأس بالإنشاد المتخيرة ألفاظه والتي تؤصل معانيه مفاهيم الربانية في النفوس.
5- تقرأ صفحتان من رياض الصالحين دون تعليق أو شرح.
6- تختم الجلسة بالدعاء.

ويتم ذلك كله والحاضرون جلوس. وإذا حضر بعض أهل العلم فبالإمكان أن تكون له كلمة يقدم بها فائدة ويحرص ألا تطول الجلسة كثيراً، ويتحرى لها وقت مناسب.
الإرشاد الثالث:

مهمة حلقات طلاب الربانية، السير بالمنتسبين إليها على ضوء المناهج الدراسية، والصورة المثلى أن يكون لطلاب الحلقة اجتماع دوري، يعطون في هذا الاجتماع خلاصة لكتاب مقرر أو خلاصة لجزء منه من قبل المشرف على الحلقة ويطلب من كل منهم أن يقرأ هذا الكتاب فيما بين الاجتماعين وتكون الفرصة بين الاجتماعين كافية للتحضير وإذا أشكل على الطالب شيء يراجع فيه المشرف أو يسأل عنه إخوانه أو من يستطيع حل الإشكال، وفي الاجتماع اللاحق تكون مذاكرة في هذا الكتاب ثم تأخذ الجلسة ملخصاً لكتاب آخر وهكذا، وعلى هذه الحلقات أن تضع في برامجها أن تعطي المنتسبين إليها كل الوحدات الدراسية الثلاثة عشرة. وينبغي أن تعدل هذه الإجازات بمجموعها إجازة الجامعات الإسلامية وزيادة، وإذا أمكن فليكن لكل حلقة مشرف ولكل علم مرجع، ويمكن أن يكون نقيب الجمعية هو المرجع والمشرف. وينبغي أن يعطى العضو إجازة جامعة في هذه العلوم كلها وحذار أن يعطى إنسان إجازة لا يستحقها بل يجب أن تصبح الثقة بإجازة الجمعية أقوى من الثقة بأي إجازة أخرى.

الإرشاد الرابع:

1- مهمة صندوق التكافل ألا يضيع عضو من أعضاء الجمعية وأن يفتح لكل عضو طريق العمل الذي يناسبه.
2- يدفع المنتسب الاشتراك الذي يحدده مهما كان قليلاً ويدفع زكاة ماله لصندوق الجمعية إلا إذا كان هناك أحق شرعاً.
3- يتألف صندق الجمعية من ثلاث خزانات:
   أ- خزانة الاشتراكات والتبرعات.
   ب- خزانة الزكوات.
   ت- خزانة القرض الحسن، فمن كان عنده مبلغ فائض عنه يستطيع أن يدفعه لهذا الصندوق والجمعية تكفل أن ترد للمقرض ما وضعه في الصندوق متى شاء.
4- ينشيء كل منتسب للجمعية صندوقاً في بيته يسمى صندوق الدعوة لا يفتح هذا الصندوق إلا بقرار من الموجه العام.

الإرشاد الخامس:

تنظم الحلقة العلمية أمر الدعوة إلى الله بحيث يكون لكل فرد فيها مهمة دعوية: دعوة إلى مجالس ذكر الجمعية، ودعوة إلى حلقاتها، ودعوة إلى كتبها المعتمدة، والتذكير لأهله ولمن يعيش في دائرتهم، وإنشاء حلقة قرآنية.

الإرشاد السادس:

تبحث الجمعية عن فروض كفائية مضيعة في دائرتها أو في دوائر أخرى فتتلقى الاقتراحات وتدرسها وتبلورها بمشاريع عملية واقعية، وتدفع كل فرد من أفرادها نحو التخصص إما في فريضة كفائية شرعية أو في فريضة كفائية حياتية ويتخيّر نقيب الجمعية لمتابعة هذه المهمة أحد الأعضاء ويشرف هو على هذا الموضوع إشرافاً مركزياً ومن الأمور المهمة: إنشاء المكتبات ودور النشر.

الإرشاد السابع:

يكون في الجمعية مسئول عن تنظيم الخدمة العامة ويساعده في ذلك مساعدون وأي عضو تطلب منه خدمة جائزة شرعاً ومستطاعة له فعليه أن يؤديها.

الإرشاد الثامن:

تحاول كل جمعية أن يكون لها مدرسة أهلية للعلوم الشرعية يكون دوامها في الأوقات المسائية بحيث تتيح للراغبين فرص الوصول إلى الكمال العلمي.

فصل: في العضوية

درجات العضوية في الجمعية:

1- منتسب فطالب فعضو فمتخصص.
2- المنتسب هو من الـتزم بإقامة الفـرائض وتـرك المحرمـات والـتزم بـورد من الـذكر وقـراءة القـرآن والمطالعة المفيـدة والرياضة اليومية وحضـور مجـالس الـذكر والعلم وحب العلمـاء وأهل الإيمان فمن وفى بالتزامه فهو المنتسب.
3- الطالب هو من التزم مع ما ذكر بدراسة الوحـدات الدراسـية الأربعة عشرة للجمعية فمن تخرج بها فهو العضو.
4- العضو هو من حصل إجازة العلوم الأربعة عشرة.
5- المتخصص هو من أعطي إجازة تخصص بفـرض من فـروض الكفاية.

والعـبرة في العضـوية للتحقق بصـرف النظر عن الأسـلوب. فقد يتحقق إنسـان بالعضـوية من خلال الدراسة والعمل والالـتزام والمراسـلة وقد يتحقق بها من خلال صـلة شخصـية بنقيب الجمعية أو بالموجه العـام وقد يتحقق بها من خلال صـلة شخصـية بأحد أعضـاء الجمعية وقد يتحقق بها من خلال ذلك كله مع الانتسـاب لحلقـات الجمعية ومدارسـها ومجالسـها. إذا تجمع عدد ما واتفقوا على تأسـيس جمعية لإحيـاء الربانية على ضـوء المنهج فـإنهم يختـارون من بينهم نقيبـاً لهم وهـذا النقيب مع هـؤلاء المؤسسين يعتـبرون مجلس الأمنـاء الـذي له كل الصـلاحيات حـتى توجد درجات العضوية الحقيقية.

فصل: في مكتب التنسيق

يكـــون لكل قطر مكتب تنســـيق يتبع الأمانة العامة لحركة إحيـــاء الربانية مهمته متابعة تغطية القطر بجمعيـــــات الحركة والتنســـــيق بين نشاطات الجمعيات وبين النشاطات الإسلامية الأخرى.

فصل: في الهيئة التأسيسية والأمانة العامة

يكـــون لحركة إحيـــاء الربانية هيئة تأسيســـية عالمية وأمانة عامة تسعى لإقامة جامعة وترتيب وتعمّم توجهات الحركة.

خاتمة وخلاصة

الربانية ثقافة وأخلاق وروحانية وعمـــل، وهي تحتـــاج إلى إحيـــاء، وعلى إحيائها يتوقف مسـتقبل الإسـلام، وإحياؤها يحتـاج إلى ذكر وعلم وتعـاون وتـرتيب، ونجـاح الحركة يتوقف على إيصـالها ووصـولها إلى كل مسلم ومسلمة، وكل مسلم ومسلمة مطالب بالوصول إلى الربانية. قال تعالى: {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويـأمرون بـالمعروف وينهـون عن المنكر وأولئك هم المفلحون} [آل عمـران: 104]. وقـال:{وما كـان المؤمنـون لينفـروا كافة فلـولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهـوا في الـدين ولينـذروا قـومهم إذا رجعـوا إليهم لعلهم يحـذرون} [التوبـة: 122]. وإذا بحثت عن المؤهلين ليقوموا بهذا الـدور لوجـدتهم الربـانيين: {لـولا ينهـاهم الربـانيون والأحبـار عن قـولهم الإثم وأكلهم السـحت} [المائدة: 63]. {ولكن كونوا ربـانيين بما كنتم تعلمـون الكتـاب وبما كنتم تدرسون} [آل عمران: 79] ومن ههنا كان لا بد من إحياء رتبة الربانية:

ولا ربانية إلا بعلم: {بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون} ولا ربانية إلا بذكر: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً} [الأحزاب: 21]. ولا ربانية إلا بنصيحة: {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون}. ولا ربانية إلا بخدمة: {أذلة على المؤمنين} [المائدة: 54]. ولا ربانية إلا بإقامة فروض العين والكفاية: {وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير} [آل عمران: 146]. {إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه} [الفتح: 08].

ومن ههنا نريد سيراً ربانياً يلتزم فيه المسلم بالعلم والذكر والنصيحة والخدمة وإقامة فروض العين وفروض الكفاية. ونريد حلقات طلاب الربانية التي تتعاون بها الحلقة مع السير الفردي على إقامة هذه الأمور الخمسة. ونريد جمعيات إحياء الربانية التي تلتزم بإيجاد كل ما يلزم لإشاعة هذه المعاني الخمسة وإقامتها. فعلى مستوى الذكر نريد إحياء مجالس الذكر والمداومة على الأوراد اليومية من الأذكار وتلاوة القرآن وحفظه وحلقات القرآن والاعتكافات وما يلزم ذلك. وعلى مستوى العلم نريد حلقات العلم وحلقات القرآن والمدارس العلمية والجامعات العلمية التي تخرج المسلم المستوعب لثقافة الربانيين والمختص بفرض من فروض الكفاية. وعلى مستوى النصيحة ينبغي إحياء الدعوة الفردية والجماعية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وعلى مستوى الخدمة ينبغي إحياء عيادة المريض وإغاثة الملهوف وإدخال السرور على قلوب المسلمين وقضاء حاجاتهم. وعلى مستوى إقامة فروض العين والكفايات ينبغي إحصاؤها وتكليف من يقوم بها وإيجاد المؤسسات والمجالس التي تقيمها.

***

ولعلك رأيت أن إحياء الربانية فريضة العصر، والكينونة مع الربانيين والأخذ منهم من فرائض الله {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين} [التوبة: 119]، والصادقون هم ورّاث النبوة في العلم والجهاد. وهذا يقتضي منك نية وعزيمة والتزاماً أن تسير في طريق الربانية وأن تعمل لإقامة حلقات طلاب الربانية وأن تسعى لتعميم ثقافة الربانيين وأخلاقيتهم وتوجهاتهم نحو إقامة الإسلام. والمطلوب منك:

على مستوى الذكر: أن تلتزم يوميّاً بورد من الأذكار وبورد من تلاوة القرآن وبورد من حفظ القرآن وبحضور مجلس من مجالس الذكر المأثور أسبوعيّاً ومحاولة إقامة سنة الاعتكاف.

وعلى مستوى العلم: أن تلتزم بالسير نحو استيعاب الثقافة الإسلامية المتكاملة التي حدّدناها بأربع عشرة وحدة دراسية، وأن تحاول الاختصاص بفرض من فروض الكفاية وأن تلتزم بالتلمذة على العلماء.

وعلى مستوى النصيحة: أن تنصح أهلك وجيرانك ومن لك بهم صلة وأئمة المسلمين وعامتهم.

وعلى مستوى الخدمة: أن تخدم أهلك وجيرانك والمسلمين.

وعلى مستوى إقامة فروض العين والكفايات: أن تبذل جهداً في ذاتك لإقامة ما تستطيع من ذلك وأن تبذل جهدا خارج ذاتك في ذلك كله.

والله ولي التوفيق ونسأله الحفظ والسلامة

ربيع ثاني

1404 هـ

كانون ثاني

1984 م